حديوى حلاوة

الوصايا . . والأمثال

في ضوء القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

** القـراءة المستنيـرة متـعة العـقل.. وسـعادة للقلب.. وغـذاء للروح.. وإرواء للظمأ.. ونور للبصـيرة.. ونعمة كبري لـلإنسان تجعله يحيا في حبـور دائم.. وانتشار مستمـر.. وسعادة غامرة.. فيطيـب نفساً.. ويقر عيناً.. ويسعـد قلباً.. ويصل بعلمه إلي أفق لا يتطاول إليـه ترف الغني.. ولا شـموخ الجـاه.. ولا قوة الملك.. ولا عـز السلطان.. والذي يرضي لنفسه الحـياة بعيداً عن العلم والمعرفة.. والفـكر والثقافة.. والقراءة المستمرة.. والبحث المتواصل.. إنما هـو ميت الأحياء.. لا يستحق العيش في دنيا الفكر والعلـم.. ولا يستحق إلا العـزاء والرثاء.. وليعش يتخـبط في ظلام الجهل الحالك: أعـمي البصـيرة أصم القلب.. مـعطل العواطف.. جـامد المشـاعر.. ممزق الروح.. مبـعثر النفس.. فـاقد الرشد.. قلق مـستوحش.. مكتـئب حزين.. واجم مهموم.. مؤرق الليل.. معذب النهار.. لا يشعر بمتعة.. ولا يحس بجمال..!

ولكم جني الجهل علي أناس كانوا ينعـمون في ظلال النعيم فاستحـالت حياتهم إلي جحيم مستعر. وشـقاء مستمر.. وبلاء مستطير.. وشر كبيـر.. وأصبحوا لا قيمة لهم في الحياة.. ولا وزن لهم ولا مقدار..!

❁ ❁ ❁

والعلم كثير.. ومـا نعرفه من العلم أقل القليل.. لأن المجهول لدينا أكـثر بكثير من المعلوم.. فالعلم معين لا ينضب.. وثمر لا يبيد.. وماء لا يغيض.. ومدي لا ينتهي.. وبحر لا ساحل له ولا منتهي..

وهكذا يظل الإنسان في حاله بحث دائم في محاولة منـه لمعرفة المجهول.. والبحث عن المجهول جميل.. والأجمل منه محاولة معرفة المجهول..!

والحكمـاء أناس يجـوبون آفاق المجـهـول. . ويسلمون أنـفسـهم للتـأمل في النفس والحياة. .

❀ ❀ ❀

* ولقـد وفقني الله عـز وجل لكتـابة هذا البحـث: «في رحاب الحكمـة والموعظة والوصـيـة والمثل» تحـدثت فـيـه عن الحكمـة عند القـدمـاء. . في بابل. . وأشـور. . وفـارس. . واليـونان. . وعند الرومـان. . والقـدمـاء المصـريين. . وفـي التـوراة. . والانجيل. . والقرآن. . والسنة. .

* ثم تحدثت عن حكمة الأنبـياء والخلفاء. . والحكمة في القصـة القرآنية والسنة. . وذكرت ألواناً من الحكمة في القرآن. . والسنة النبوية. . والتاريخ الإسلامي والأدبي. .

* ثم ألقـيت الضوء علي الموعظة فـي القرآن. . وذكـرت ألوانا من الموعظة للأنبيـاء والصحابة والصالحين. . والخلفاء والأمراء. . والفلاسفة والعلماء. .

* وتحدث عن الوصـية بالتـفصيل والشـرح والتحليل في القـرآن والسنة. . وذكرت ألواناً من الوصية. كوصـايا لقمان فى القرآن. . وفي غير مـا جاء به القرآن. . ووصايا النبي عليه السلام. . ووصايا الخلفاء. . ووصايا الأباء للأبناء. .

* ثم تحدثت عن المثل في القرآن. . وأنواعـه. . وفوائده. . وإطلاقاته. . والهدف من ضربه. . !

وقد تناولت كل هذا بأسلوب سهل ميسر يفهمه العامة. . ويستمتع به الخاصة. .

والله أسأل أن ينفع به إنه علي ما يشاء قدير وهو نعم المولي ونعم النصير

حديوى حلاوة

المبحث الأول

** فى رحاب الحكمة **

- الحكمة عند علماء الأخلاق
- الحكمة عند القدماء
- الحكمة في أشور.. وبابل
- الحكمة في القرآن والتوراة والإنجيل
- الحكمة في القصة القرآنية
- الحكمة في السيرة النبوية
- قطوف من أدب الحكمة
- كلمات من الحكمة

.. الحكمة ..

* **الحكمة:** هي الإصابة في القول والفعل والعمل. . والعدل والإنصاف والحق. . فـهي من الله معـرفـة الأشيـاء وإيجـادها علي غاية الإحكام. . ومـن الانسان مـعرفـة الموجـودات. . وفعل الخـيرات. . والـعمل بالعلم. . لأن حـكمة الحكيم لا تعـرف إلا بأفعـاله المطابقة لأقواله حـتي تلقي حكمتـه القبول وتسـتقر في القلوب «فـالكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب. . وإذا خرجت من اللسان لا تجاوز الآذان».

* **والحكمة:** هي العدل والحلم والنبـوة والقرآن والانجيل وطاعة الله والفـقه في الدين والعمل به. . أو الخشية والفهم والورع والعقل والتفكر في أمر الله واتباعه(١).

* **والحكمة عند أكابر العلماء الأخلاقيين من القدماء:** هي أم الفضائل. . وملاك الشيم الإنسـانية. . وأصل كل فضيلة عنهـا تصدر وإليها تعـود. . وأسمى القيم وأجلها. . وتمام العلم وكمال المعرفة. . من حواها فقد حوي الخير كله. .

* **والحكمة:** الفضيلة العليا التي تنشأ من سيطرة القوة العاقلة علي القوة الشهوانية وأصل الحكمة مـا يمتنع به من السفـه. . فالعلم حكمة لأنه يمتنع به. وبـه يعلم الامتناع من السفه وهو كل قبيح. .(٢).

* **ويري ابن مسكويه في كتاب «تهذيب الأخلاق»:**

أن الحكمة فضيلة النفس الناطقة الممـيزة. . وهي أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة. . وإن شـئت فقل أن تعرف المعقولات أيهـا يجب أن يفعل. . وأيها يجب أن يغفل. .

والحكمـة تقتـضي من طالبـيـها بصـرا بالأمـور. . وعمـقا فـي الفهم. . ودقـة في الإدراك. . وأناة في التفكير. . وحذرا وحيطـة قبل الاندفاع في الفعل. . وهذه الأمور لا تنال بالعلم المأخوذ من المعاهد والمدارس. . أو بالمعرفة المستفادة من بين دفتي كتاب. . ولكن مكانها الحقـيقي هو الكون المنشور في مدرسـة الحياة يتعلم الانسـان منها الحكمة

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج٢ ص: ٤٨٨
تحقيق محمد علي النجار

(٢) الفضيلة والفضائل في الاسلام - أحمد عبد الرحيم السايح ص: ٣٢

والدراية والبصر بالأمور.. وكم من أناس يحملون من الإجازات المدرسية.. والدرجات العلمية الشئ الكثير وهم لا يفقهون من أمور الحياة إلا أقل القليل.. وكم من أناس لم يدخلوا مدرسة في حياتهم ومع ذلك تراهم قد عركوا الحياة.. وعركتهم الحياة.. فتعلموا منها ما يجعلهم علي قدر كبير من الفضيلة.. وخط غير قليل من الحكمة..

* والشائع المتواتر علي ألسنة العلماء يؤخذ منه: أن الحكمة هي الاصابة فى العلم والعمل.. ومتي كان العم صادرا عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدي إلي السعادة.(١).

* والواجب علي الحكيم الذي جند نفسه لهذه المهمة أن ينظر كيف يضع حكمته.. فيعطى الحكمة لمن يستحقها ويقدرها.. ويمنعها عن غير أهلها..

ولذلك يقول سيدنا عيسي عليه السلام:

«لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها.. ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.. وكونوا كالطبيب الناجح يضع الدواء مكان الداء»

❁ ❁ ❁

* الحكمة عند القدماء

* عني القدماء بموضوع الحكمة عناية كبيرة لما تحويه من عبر وعظات حكيمة تستقر في القلوب.. وتتقبلها النفوس في كل عصر وزمان..

ولقد كان القدماء يقصدون بكلمة الحكمة والحكيم: المهارة والبراعة والحزم والفطانة في شئون الحياة نتيجة لتجميع الخبرات الحيوية.. والتجارب التي تعكس علي النفس لونا من الحزم والصبر علي المكاره..

والحكيم هو الشخص العاقل المتزن الذي يزن الأمور بميزان العقل.. ولا يندفع وراء الملذات والشهوات والعواطف.. وذلك يرجع إليه الناس في الأزمات والمشاكل ليكون ملاذا لهم وعونا علي حل هذه المشكلات العويصة التي كثيرا ما تعترض البشر.

---

(١) المصدر السابق ص: ٣٥ - ٣٦

** ولقد اهتم المصريون القـدماء بالحكمة. . حتي بلغ من عنايتهم بهـا أن جعلوا لها إلهاً هو «إله الحكمة» وكانوا يقدسونه. . ويذهبون إليه طلبا لحكمته. .

** وإذا نظرنا إلي حكماء البـشر ومعلميـهم وجدنا أقدم حكمة مـصريـة وصـلت إلينا هي:

حكمة الوزير - بتـاح حتب - يخـاطب فيـها ابنه «٢٤٥٠ قـبل الميلاد» ويقـدم إليه خلاصة تجاربه في الحياة ليستعين بهـا علي ممارسة منصبه الجديد الذي سيتولاه بعد والده الوزير وكان والده قد طعن في السن. .

* وحرص «أحقيار» حكيم أشور. . علي هذه الطريـقة في التربية فتمني أن يكون له ولد يلقنه الحكمة. . فلما أدركه اليأس لقنها لابن أخته «نادان»

- وصيغة يا بني. . شائعه في سفر الأمـثال. ولعلها أطلقت فيه مجازا علي التلميذ الناشئ بصفة عامة. .

* وعني هذا السفر فـوق توجيه الحكمة إلي الأنبيـاء ببيان أساليب تربيـتهم وتأديبهم فأكد أكثر من مرة ضرورة استخدام العـصا. . وتلقي أحبار اليهود هذه الطريقة في عصر التلمود وأضافوا إليها. .

* وعرفت فكرة توجيه الحكمة إلي الأبناء في السـريانية وشاعت في آداب أخري غير السريانية كالفارسية والسامية. .

* وفي نقش بابل. . يفتخـر الملك «أشور بانيبال» بأنه تعلم الحكمـة من آلهة الحكمة مثل «نابو. . ومردوك» وأنه عرف صنعة آداب الحكيم وفهم أسرار الكتب والكتابة. .

- وكان الوزير الأشوري «أحيقار» يلقب بالحكيم والكاتب ومستشار أشور

* وفى اسرائيل دونت مـجموعة من الحكم كـان يوجههـا الحكماء إلي أبنائهم. . أو كانوا يؤلفـونها من أجل الملوك. . وحظي سليمان بشـهرة لا نظير لها في الحـكمة وكان يجمع إليها الملك والنبوة. . وقد نسب إليهم سـفر الأمثال. وكثير من الحكم الواردة في التوراة. وربما كان الغرض من ذلك التـمكن من توريث الحكمة للاحقين من الطلاب. . وكانت منذ أقدم عصورها بالشئون الدنيوية والغيبيات. . وعُدَّ:

* رؤساء السحر «أشعيا ٣ - ٣»

* ومفسري أحلام «التكوين ٤١ - ٢٩»

* وشعراء «ملوك أول ٥ : ٩ - ١٤»

* وعرف الحكماء في مصر بأنهم قوم يوحي إليهم من الإله «توت»

* وعدت الحكمة هبة من الإله «تابو» في بابل . .

* وللحكمة إله اسمه «نقوش رأس شمرا» .

* وفي اسرائيل ردوا صدرها إلي «يهوه» وهو الذي خلق الحكمة أول ما خلق . . «أمثال : ٥٨» .

* وامتدحت الأديان السماوية الحكمة وقرنتها بالكتب المقدسة .

* وارتبطت الحكمة في أفهام العرب القدماء بالغيبيات . . فكان من الحكماء من اشتغل بالكهانة مثل «زهير بن جناب القضاعي» وكان منهم رجال دين مثل «قس بن ساعدة»

وعرفوا الصلة بين الحكمة والكتاب . . وسمي الرجل الذى يجيد الحكمة والكتاب بالكلمة وسموه الكامل أيضا ومن هذه الطبقة «سويد بن الصامت»(١)

* وقد شاعت الحكمة أيضا عند القدماء في اليونان . . والقدماء من الرومان والإغريق وكانوا يطلقون علي الفلاسفة اسم «الحكماء» . .

فالفلسة هي الحكمة . . أو محبة الحكمة . . والفيلسوف محب للحكمة وباحث عنها لكي يتصرف بها في مواقف الحياة . . ويزن الأمور بميزان العقل .

* وشاعت الحكمة أيضا في الشعر العربي في كل عصوره . . في العصر الجاهلي . . والاسلامي والأموي . . والعباسي . . والفاطمي . . وحتي الوقت الحاضر . .

وكما كانت الحكمة شعرا . . كذلك كانت نثرا . . وشاع هذا اللون من الحكمة النثرية في العصر الأندلسى .

---

(١)وصايا لقمان فيما جاء به القرآن . . دكتور علي حسن رضوان ص : ٣٤ - ٣٥

ولقد نقلت لنا كتب التاريخ الأدبي أنباء كثير من الشعراء الحكماء مثل:

«المعري. . المتنبى. . والهذلى. . والخيام. . وأبو العتاهية» وغيرهم الكثير. .

* كما أطلق القدماء لقب «حكيم علي الطبيب. . وما يزال ها اللقب شائعا في صعيد مصر إلي الآن. . فتراهم يقولون علي الطبيب «حكيم» ويطلقون في مصر الآن علي دار الأطباء. . اسم «دار الحكمة»

❁ ❁ ❁

* الحكمة فى القرآن

* عني القرآن بموضوع الحكمة وكرر ذكرها في كثير من آياته. . لأن الحكمة في القرآن هي ما أوحي الله إلي رسوله علاجا للبشرية كلها وتنفيذ ما فيها من أوامر وسلوك لضمان السعاد للبشر في الدنيا والآخرة. .

ولقد وصف الله نفسه بأنه حكيم في كثير من آيات القرآن الكريم. . منها قوله تعالي:

«قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم»(١)

وقال تعالي:

«وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير»(٢)

وقال تعالي:

«ومن يتوكل علي الله فإن الله عزيز حكيم»(٣)

* والله هو الواهب للحكمة لمن يشاء من عباده المخلصين. . قال تعالي:

«يؤتي الحكمة لمن يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب» (٤)

---

(١) سورة البقرة: ٣٢

(٢) سورة الانعام: ١٨

(٣) سورة الانفال: ٤٩

(٤) سورة البقرة: ٢٦٩

وقال تعالي:

«ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله»(١)

❀ ❀ ❀

** ووصف الله الأنبياء في القرآن بالحكمة.. لأنه سبحانه هو الواهب لها لمن يشاء من عباده.. والأنبياء أناس اصطفاهم الله واختارهم لحمل رسالته وتبليغها للناس فوهبهم الحكمة والرأي السديد.. والقول الرشيد..

* وقال تعالي عن ابراهيم عليه السلام:

«فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما»(٢)

* ويقول عن لوط عليه السلام:

«ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين»(٣)

* ويقول تعال عن داود عليه السلام:

«اصبر علي ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد د إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب»(٤)

وقال تعالي:

«فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء»

ويقول تعالي عن سليمان عليه السلام

«ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما»(٥)

* ويقول تعالي عن يوسف عليه السلام:

«ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين»(٦)

) سورة لقمان: ١٢

) سورة النساء: ٥٤

) سورة الأنبياء: ٧٤

٤) سورة ص: ١٧ - ٢٠

٥) سورة الأنبياء: ٧٩

٦) سورة يوسف: ٢٢

* ويقـول تعالـي عن موسي عليـه السـلام: «ولما بلغ أشـده واستـوي آتيناه حكمـا وعلما»(١)

*وقال تعالي عن يحيي عليه السلام:

«يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا»(٢)

* وقال تعالي عن عيسي عليه السلام:

«واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل»(٣)

* ويقول تعالي عن محمد صلي الله عليه وسلم

«ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم»(٤)

* ويقول تعالي عن نساء النبي صلي الله عليه وسلم:

«واذكرن ما يتل في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا»(٥)

* ويقول تعالي عن لقمان الحكيم:

«ولقد آتينا لقـمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فـإنما يشكر لنفسه ومن كـفر فإن الله غني حميد»(٦)

❁ ❁ ❁

* ووصف الله القرآن بالحكمـة.. لأن آيات القرآن محكمـة فهي تجمع بين الرغـبة والرهبة.. والشدة واللين.. لا غموض فيها ولا لبس.. انما هي واضحة جلية لصاحب العقل السليم والفكر الثاقب المنير. فجاءت بما هو الواقع.. وما أخبرت عنه هو الحق..

---

(١) سورة القصص: ١٤
(٢) سورة مريم: ١٢
(٣) سورة المائدة: ١١٠
(٤) سورة البقرة: ١٥١
(٥) سورة الاحزاب: ٣٤
(٦) سورة لقمان: ١٢

- ومن حكمتها: أنهـا تأمر بكل خير وتنهي عن كل شر وتقدم ما فيـه الخير البشرية وسعادة الإنسانية..

* «ووصف القرآن بالحكمة. يلقي عليه ظلال الحياة والإرادة.. فكأنما هو كائن حي متـصف بالحكمة في قـوله وتوجيهـه.. قاصد لما يقـول.. مريد لما يهـدف إليه.. وإنه لكذلك في صحيحه.. فـيه روح.. وفيه حركة.. وله شخصـية ة مميزة.. وفيه إيناس وله صـحبـه يحس بها من يـعيـشون مـعه ويحـيون فـي ظلاله.. ويشعـرون له بحنين وتجاوب. كالتجاوب بين الحي والحى وبين الصديق والصديق» (١)

قال تعالي:

«آلر كتاب أحكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير»(٢)

وقال تعالي:

«آلم تلك آيات الكتاب الحكيم» (٣)

وقال تعالي

«يس والقرآن الحكيم»(٤)

❀ ❀ ❀

** ولقد وردت الحكمة في القرآن الكريم بمعان متعددة منها:

١- وردت الحكمـــة بمعني الوصـــايا.. والحـــدود التى أوحى الله بهـا لسلوك المؤمن فى القـــرآن المنزل على سيـدنا مـحـمـد صلى الله عليـه وسلم..

قال تعالي:

«وأنزل الله عليك الكتـاب والحكمـة وعلمك ما لم تكن تعـلم وكان فـضـل الـله

(١) الظلال.. للشيخ سيد قطب ج٥ ص: ٢٧٨٣ ط دار الشروق
(٢) سورة هود: ١
(٣) سورة لقمان:١
(٤) سورة يس:١

عليك عظيما»

وقال تعالي:

«وذلك مما أوحي إليك ربك من الحكمة» (١)

٢- وجاءت الحكمة بمعنى الإلهام لعباد الله الصالحين بهذه الحدود والوصايا

قال تعالي:

«ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله»(٢)

٣- ووردت الحكمة بمعنى النبوة والرسالة..

قال تعالي:

«وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء»(٣)

٤- ووردت الحكمة بمعنى التفسير والتأويل..

«يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب»(٤)

٥- وردت الحكمة بمعني الفهم والفقه في الدين وفهم الأحكام الشرعية..

قال تعالي:

«يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا»(٥)

٦- ووردت بمعني آيات القرآن وأوامره ونواهيه..

قال تعالي

«ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين»(٦)

٧- ووردت بمعني توجيه الله للقلوب إلي تدبيره الحكيم.. قال تعالي:

«ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر»(٧)

---

(١) سورة الاسراء: ٣٩ (٢) سورة لقمان: ١٢

(٣) سورة البقرة: ٢٥١ (٤) سورة البقرة: ٢٦٩

(٥) سورة مريم: ١٢ (٦) سورة النحل: ١٢٥ (٧) سورة القمر: ٥

٨- ووردت الحكمة بمعنى الوعظ والتذكير بالنعمة..

قال تعالي:

«واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة»(١)

❁ ❁ ❁

«كما جاءت الحكمة في القرآن بمعني الحكم.. والحكم ورد في القرآن علي إحدي وعشرين وجها:

١- حكم الله تعالى:

«أليس الله بأحكم الحاكمين»(٢)

وقال تعالي:

«والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب» (٣)

٢- حكم نوح فى شفاعة النبيين..

قال تعالي:

«قال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين»(٤)

٣- حكم لوط عند استغاثته من جور المجرمين..

قال تعالي:

«ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين»(٥)

٤- حكم يوسف عند مراودة امرأة العزيز له.

قال تعالي:

«ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين»(٦)

---

(١) سورة البقرة: ٢٣١ (٢) سورة التين: ٨
(٣) سورة الرعد: ٤١ (٤) سورة هود: ٤٥
(٥) سورة الأنبياء: ٧٤ (٦) سورة يوسف: ٢٢

٥- وحكم اخوة يوسف عليه السلام..

قال تعالي:

«قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتي يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين»(١)

٦- وحكم دواود عليه السلام لما ترافع له الخصمان

قال تعالي:

«وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المجراب إذ دخلوا علي داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا علي بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلي سواء الصراط»(٢)

٧- وحكم خلفاء الله بين نوع الإنسان..

قال تعالي:

«يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق»(٣)

٨- والحاكم بين الراعى والزارع من داود وسليمان عليهما السلام:

قال تعالي:

«وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيهم غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين»(٤)

٩- وحكم اليهود بالتوراة وشرائعها..

قال تعالي:

«وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يقولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين»(٥)

---

(١) سورة يوسف: ٨٠
(٢) سورة ص: ٢١ -٢٢
(٣) سورة ص: ٢٦
(٤) سورة الانبياء: ٧٨
(٥) سورة المائدة: ٤٣

١٠- وحكم النصارى بالإنجيل وأحكامه..

قال تعالي:

«وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»(١)

١١- وحكم سيد الأنبياء بما تضمنه القرآن.. قال تعالي:

«وأن احكم بينهم بما انزل الله»(٢)

١٢- والحكم الجاهلي الذي طلبه الجهال من أهل الكفر والطغيان

قال تعالي:

«أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن الله حكما لقوم يؤمنون»(٣)

١٣- والحكم الحق المنصوص فى القرآن..

«إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين»(٤)

١٤- والحكم الجزم فى شأن أهل النفاق..

قال تعالي:

«فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسلميا»(٥)

١٥- والحكم المقبول من المؤمنين بواسطة الإيمان المقابل بالتذلل والتواضع..

قال تعالي

«وإذا دعوا إلي الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلي الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون»(٦)

(١) سورة المائدة: ٤٧
(٢) سورة المائدة: ٤٩
(٣) سورة المائدة: ٥٠
(٤) سورة الانعام: ٥٧
(٥) سورة النساء: ٦٥
(٦) سورةالنور: ٤٧ - ٥١

١٦- و**الحكم يوم القيامة بين جميع الإنس والجن**

قال تعالي:

«وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»(١)

١٧- والحكم بين الرجال والنساء.. قال تعالي:

«وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما»(٢)

١٨- وحكم بجزاء الصيد على المحرم عند العدوان.

قال تعالي:

«فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم»(٣)

١٩- وحكم من الله بالحق اذا اختلف المختلفان..

قال تعالي:

«وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلي الله» (٤)

٢٠- وحكم الكفار فى دعوى مساواتهم بأهل الإيمان قال تعالي:

«أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون»(٥)

٢١- وحكم بتقديم الأرواح وتأخيرها من الرحمن.. قال تعالى:

«والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب»(٦)

**** وقد ورد لفظ الحكيم في القرآن الكريم علي خمسة أوجه**

١- ورد بمعنى الأمور المقضية على وجه الحكمة.

قال تعالي:

«إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا

---

(١) سورة النحل: ١٢٤ — (٢) سورة النساء: ٣٥

(٣) سورة المائدة: ٦٥ — (٤) سورة الشوري: ١٠

(٥) سورة العنكبوت: ٤ — (٦) سورة الرعد: وراجع بصائر ذوى التميز للفيروزابادى ج٢ ص٤٨٨

كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم»(١)

٢- وورد الحكيم بمعنى اللوح المحفوظ

قال تعالي:

«وانه في أم الكتاب لدنيا لعلي حكيم»(٢)

٣- وورد لفظ الحيكم بمعنى الكتاب المشتمل على قبول لمصالح.

قال تعالي:

«آلر تلك آيات الكتاب الحكيم» (٣)

٤- وورد لفظ الحكيم بمعنى القرآن العظيم. المبين لأحكام الشريعة.

قال تعالي:

«يس والقرآن الحكيم» (٤)

٥- المنصوص بصفة الله تعالى..

- وهو تارة يأتي مقرونا بالعلو والعظمة: «إنه علي حكيم»
- وتارة مقرونا بالعلم والدراية: «انه هو العليم الحكيم»
- وتارة مقرونا بكمال الخبرة: «من لدن حكيم خبير»
- وتارة مقرونا بكمال العزة: «وكان الله عزيزا حكيما»(٥)

❁ ❁ ❁

(١) سورة الدخان: ٣ - ٦
(٢) سورة الزخرف: ٣
(٣) سورة ونس: ١
(٤) سورة يس: ١
(٥) بصائر ذوي التمييز جـ٢ ص: ٤٨٩

** ألوان من الحكمة **

ألوان من الحكمة في القرآن..

* لقد عرفنا أن الحكمة هى ما أوحى الله به إلى رسوله علاجا للبشرية جميعها .. وأن أصل الحكمة هو العدل .. لأنها تجمع بين العلم والحلم .. وهى الحكم القطعى فيما تدعوا إليه الكتب المنزلة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وفضائل الأعمال وجميل الخصال .. وعظيم السلوك والآداب .

ومن الحكمة فى القرآن ما جاء فى سورة الإسراء ..

قال تعالى:

«وقضى ربك ألاَّ تبعدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده بصيرا ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئ كبيرا ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا وأوفوا الكيل إذ اكلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحورا» (١)

(١) سورة الاسراء : ٢٣-٣٩ .

وأما الآيات المحكمات فى القرآن ماجاء فى سورة الأنعام . . قال تعالى :

«قلْ تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شـيئا وبالوالدين إحْسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش مـا ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حـرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقـربوا اليتم إلا بالتى هى أحسن حـتى يبلغ أشده وأوفوا الكـيل والميزان بالقسط لا نكلف نفـساً إلا وسعـها وإذا قلتم فاعـدلوا ولو كان ذا قربى وبعـهدالله أوفوا ذلكم وصـاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعـوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١)

❁ ❁ ❁

*الحكمة في القصة القرآنية

القصة فى القرآن ليست عملا فنياً مستقلاً فى موضوعه وطريقة عرضه وادارة حوادثه - كما هو الشأن فى القصة الفنيـة الحرة التى ترمى إلى أداء غرض فنى مجرد - إنما هى وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلىٰ تحقـيق هدفه الأصيل . . والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء . . والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثـبيتها . . شأنها فى ذلك شأن مـشاهد القيـامة وصور النعـيم والعذاب - وشأن الأدلة الـتى يسوقهـا على البعث وعلى قـدرة الله . . وشأن الشـرائع التى يفصلهـا والأمثال الـتى يضربهـا . . إلى آخر ماجاء فى القرآن من موضوعات . .

وقد خضـعت القصة القرآنيـة فى موضوعهـا ، وفى طريقة عرضهـا وإدارة حوادثها لمقتـضي الأغراض الدينية ، وظهـرت أثار هذا الخضـوع فى سمات مـعينة ، ولكن هذا الخـضوع الكامل للغـرض الدينى ، ووفاءهـا بهـذا الغرض تمام الوفـــاء ، لم يمنـع بروز الخصائص الفنيـــة فى عرضـها ولا سيما خصيصة القرآن الكبـرى فـى التعبـــير وهى التصوير (٢)

* وللقصة القرآنيةأغراض كثيرة سيقت من أجلها منها :

(١) سورة الأنعام : ١٥١-١٥٣

(٢) التصوير الفنى فى القرآن -الشيخ سيد قطب ص: ط ثامنة دار المعارف

اثبات الوحى والرسالة . . والترغيب والترهيب . . والانذار والتبشير . . وعاقبة الخير والشر . . والعدل والظلم . . والحق والباطل . . والصدق والكذب . .

ونصر الله للمؤمنين . . وهلاك الظالمين المكذبين ومصارعهم . . والعبرة والعظة والموعظة التى تعرضها القصة فى إخبارها عن الأمم التى بادت . . والقرون التى خلت . . والويل الذى حل بأولئك الذين عثوا عن أمر ربهم ، وكذبوا رسلهم وعثوا فى الأرض فسادا . .

«ولقد اشتمل القرآن الكريم على وفرة غزيرة من القصص الواعى المحكم يدل على حقيقة الدين . . ويحدد تحديداً الطريقة الوحيدة لمرضاة رب العالمين فى الوقت الذى يشرح للناس طبائع الناس ووسائل علاجها . . وسنن الله فى عقابها أو معافاتها . .

ولم يكن هذا القصص سردا مجردا لبعض الروايات القديمة يتسلى بها المستمعون ثم يقفلون عن حكايتها أو يتعظون . . لا . . إن هذا القصص كان تاريخاً لسيرة الدعوة الدينية فى الحكاية . . وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة . . وما هى العقبات التى اعترضتها . . ؟

وهل وقفت عندها أو تغلبت عليها . . ؟ وما صنع الأنبياء بازائها وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله ؟

أوصدت عنها . . بم إنتهى الصراع بين الغى والرشد . . ؟

والحكمة المنشودة من وراء هذا القصص المترسل المكرر نقرؤها فى قوله تعالى :

«لقد كان فى قصصهم عبرة الأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »(١)

❁ ❁ ❁

* ومن القصص القرآنى الحكيم : «قصة موسى والخضر» والتى وردت فى سورة

---

(١) اعجاز القرآن البيانى -دكتور حفنى محمد شرف . ص : ٢٩٢ الكتاب الرابع ١٩٧٠ م المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الكهف . . وهى تبرز لنا فى وضوح وجلاء بما لايدع مجالا للشك أو التخمين حكمة الله البالغة التى أرادها . .

يقول ابن عباس : حدثنا أبى بن كعب رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل . . فسئل أى الناس أعلم . .؟ قال : أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه . . فأوحى الله إليه إن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . .

قال موسى : يارب وكيف لى به . .؟

قال : تأخذ معك حوتا فتجعله بمكتل . . فحينما فقدت الحوت فهو ثم «أى هو هناك . .

وجهز موسى نفسه من فوره وعزم على هذه الرحلة التى يقصد من ورائها أمراً قال تعالى :

«وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرايت إذا أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه الإ الشيطان أن اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا»(١)

* الأرجح أن هذا الحوت كان مشويا . . وأن احياءه واتخاذه سبيله سربا كان آية من آيات الله لموسى . . يعرف بهما موعده . . بدليل عجب فتاه من اتخاذ سبيله فى البحر . . ولو كان يعنى أنه سقط منه فغاص فى البحر ماكان في هذا عجب ، ويرجح هذا الوجه أن الرحلة كلها مفاجآت غيبيه . . فهذه إحداها . .

وأدراك موسى أنه جاوز الموعد الذى حدده ربه له للقاء عبده الصالح ، وأنه هنالك عند الصخرة ثم عاد على أثره هو وفتاه فوجداه :

«قال ذلك ماكنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبد من عبادنا آتيناه رحمة من

١) سورة الكهف : ٦٠ - ٦٣

عندنا وعلمناه من لدنا علماً».

ويبدو أن ذلك اللقاء كان سر موسى وحده مع ربه .. فلم يطلع عليه فتاه حتى لقيه ومن ثم ينفرد موسى والعبد الصالح فى المشاهد التالية للقصة :

«قال له موسى هل أتبعك علي أن تعلمن مما علمت رشدا» .

بهذا الأدب اللائق بنبى .. يستفهم ولا يجزم .. ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم .

ولكن علم الرجل ليس هو العلم البشرى الواضح الأسباب القريب النتائج .. إنما هو جانب من العلم اللدنى بالغيب اطلعه الله عليه بالقدر الذى أراده للحكمة التى أرادها .. ومن ثم فلا طاقة لموسى بالصبر على الرجل وتصرفاته ولو كان نبيا رسولا .. لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلى . وبالأحكام الظاهرة .. ولابد من إدراك ، وراءها من الحكمة المغيبة .. وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار ، لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتى العلم اللدنى على موسى ألا يصبر على صحبته وتصرفاته ..

«قال إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا»ويعزم موسى على الصبر والطاعة ، ويستعين الله .. ويقدم مشيئته :

«قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمراً».

فيزيد الرجل توكيدا وبيانا ويذكر له شرط صحبته قبل بدء الرحلة ، وهو أن يصبر فلا يسأل ولا يستفسر عن شىء من تصرفاته حتى يكشف له عن سرها :

«قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا».

ويرضى موسى .. واذ نحن أمام المشهد الأول لهما :

«فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها».

سفينة تحملهما وتحمل معهما ركابا .. وهم فى وسط اللجه .. ثم يجىء هذا العبد الصالح فيخرق السفينة..!

إن ظاهر الأمر هنا الشر . . فلماذا يعدم الرجل على هذا الشر . . ؟

لقد نسى موسى ماقاله هو وماقاله صاحبه . . أمام هذا التصرف العجيب الذى لامبرر له فى نظر المنطق العقلى . . ! والإنسان قد يتصور المعنى الكلى المجرد ، ولكنه عندما يصطدم بالتطبيق العملى لهذا المعنى والنموذج الواقعى منه يستشعر له وقعا غير التصور النظرى . . فالتجربة العملية ذات طعم آخر غير التصور المجرد . . وها هو ذا موسى الذي نبه من قبل إلى أنه لايستطيع صبرا على مالم يحط به خبرا فاعتزم الصبر واستعان بالمشيئة وبذل الوعد وقبل الشرط . . ها هو ذا يصطدم بالتجربة العملية لتصرفات هذا الرجل فيندفع مستنكرا . .

نعم إن طبيعة موسى طبيعة انفعالية اندفاعية . . كما يظهر من تصرفاته فى كل أدوار حياته . منذ أن وكز الرجل المصرى الذى رآه يقتتل مع الإسرائيلى فقتله في اندفاعة من اندفاعاته . ثم أناب إلى ربه مستغفراً معتذراً حتى اذا كان اليوم الثانى ورأى الإسرائيلى يقتتل مع مصرى آخر ، هم بالآخر مرة أخرى . .

نعم إن طبيعة موسى هى هذه الطبيعة . . ومن ثم لم يصبر على فعلة الرجل ولم يستطع الوفاء بوعده الذى قطعه أمام غرابتها ، ولكن الطبيعة البشرية كلها تلتقى فى أنها تجد للتجربة العملية وقعا وطعما غير التصور النظرى ولا تدرك الأمور حق ادراكها إلا إذا ذاقتها وجربتها . . ومن هنا اندفع موسى مستنكرا:

«قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا» .

وفى صبر ولطف يذكر العبد الصالح بما كان قد قاله منذ البداية :

«قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا »

ويعتذر موسى بنسيانه ، ويطلب إلى الرجل أن يقبل عذره ولا يرهقه بالمراجعة والتذكير :

«قال لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا» .

ويقبل الرجل اعتذاره . . فنجدنا أمام المشهد الثانى :

«فانطلقاحتى إذا لقيا غلاما فقتله »

وإذا كانت الأولى خرق سفينة واحتمال غرق من فيها . . فهذه قتل نفس . . قتل عمد لامجرد احتمال ، وهى فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده :

«قال أقتلت نفسا زكيه بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا».

فليس ناسيا فى هذه المرة ولا غافلا، ولكنه قاصد .قاصد أن ينكر هذا النكر الذى لا يصبر على وقوعه ولا يتأول له أسبابا . . والغلام فى نظره برئ . . لم يرتكب مايوجب القتل بل لم يبلغ الحكم حتى يكون مؤاخذا على مايصدر منه . .

ومرة أخرى يرده العبد الصالح إلى شرطه الذي شرط ، ووعده الذى وعد . . ويذكره بما قاله له أول مرة والتجربة تصدقه بعد التجربة :

وفى هذه المرة يعين أنه قال له «ألم أقل لك» لك أنت على التحديد والتعيين فلم تقتنع وطلبت الصحة وقبلت الشرط .

ويعود موسى إلى نفسه ، ويجد أنه خالف عن وعده مرتين . . ونسى ما تعهد به بعد التذكير والتفكير . . فيندفع ويقطع على نفسه الطريق . . ويجعلها آخر فرصة أمامه :

«قال إن سألتك عن شيئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا».

وينطلق السياق فإذا نحن أمام المشهد الثالث :

«فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض . . والتعبير يخلع على الجدار حياة وارادة كالأحياء فيقول «يريد أن ينقض »فاذا الرجل الغريب يشغل نفسه باقامة الجدار دون مقابل وهنا يشعر موسى بالتناقض فى الموقف . ماالذى يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه ويقيم جداراً يهم بالانقضاض فى قرية لم يقدم لهما أهلها الطعام وهما جائعان وقد أبوا أن يستضيفوهما . . ؟ أفلا أقل من أن يطلب عليه أجراً يأكلان منه . . ؟ «قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً ».

وكانت هى الفاصلة . . فلم يعد لموسى من عذر . . ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال :

«وقال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا »

وإلى هنا كان موسى - ونحن الذين نتابع سياق القرآن - أمام مفاجآت متوالية لانعلم لها سرا . . وموقفنا منها كموقف موسى . . بل نحن لانعرف من هو هذا الذى يتصرف تلك التصرفات العجيبة . . فلم ينبئنا القرآن باسمه . . تكملة للجو الغامض الذى يحيط بنا . وما قيمة اسمه . .؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا التى لاترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة . . بل تهدف إلى اعراض بعيدة لاتراها العين المحدودة . . فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التى يمثلها . . وإن القوى الغيبية لتتحكم في االقصة منذ نشأتها . . فها هو ذا موسى يريد أن يلقى هذا الرجل الموعود ، فيمضى فى طريقه . . ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة . . وكأنما نسيه ليعودا فيجد هذا الرجل هناك . . وكان لقاؤه يفوتهما لو سارا فى وجهتهما . . ولو لم تردهما الأقدار إلى الصخرة كرة أخرى . . كل الجو غامض مجهول . . وكذلك اسم الرجل الغامض المجهول فى سياق القرآن .

ثم يأخذ السر في التجلي :

«أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ».

فبهذا العيب نجت السفينة من أن يأخذها ذلك الملك الظالم غصبا ، وكان الضرر الصغير الذي أصابها اتقاء للضرر الكبير الذى يكنه الغيب لها لو بقيت على سلامتها «وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ».

فهذا الغلام الذي لايبدو في حاضره ومظهره أنه يستحق القتل . . قد كشف ستر الغيب عن حقيقته للعبد الصالح ، فإذا هو في طبيعته كافر طاغ تكمن فى نفسه بذور الكفر والطغيان وتزيد على الزمن بروزا وتحققا ، فلوعاش لأرهق والديه والمؤمنين بكفره وطغيانه . .

وقادهما يدافع حبهما له أن يتبعاه فى طريقه . . فأراد الله ووجه ارادة العبد الصالح إلى قتل هذا الغلام الذى يحمل طبيعة كافرة طاغية ، وأن يبد لهما الله خلفا خيرا منه . . وأرحم بوالديه . .

ولو كـان الأمر مـوكولا إلى العلم البـشرى الـظاهر . لما كان له إلا الظاهر من أمـر الغلام ولما كـان له عليه من سلطان ، وهو لم يرتكب بعد ما يـستحق عليه القـتل شرعاً وليس لغير الله ولمن يطلعه من عـباده على شيء من غيبه أن يحكم على الطبيعـة المغيبة لفرد من الـناس ،ولا أن يرتب على هذا العلم حكما غـير حكم الظاهر الذى تـأخذ به الشريعة . . ولكنه أمر الله القائم على علمه بالغيب البعيد . .

«وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحـته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجـا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا ».

فهـذا الجدار الذى اتعب الرجل نفـسه فى إقامـته ، ولم يطلب عليـه أجراً من أهل القرية وهما جائعان وأهل القرية لاتضيفـونهما - كان يخبىء تحته كنزا . . ويغيب وراءه مالا لغلامين يتيمين ضعيـفين فى المدينة ولو ترك الجدار ينقض لظملا من تحته الكنز فلم يستطع الصغيران أن يدفـعا عنه . . ولما كان أبوهما صالحاً فقد نفعـهما الله بصلاحة فى طفولتهما وضعـفهما ، فأراد أن يكبر ويشتد عودهما «ويستـخرجا كنز هما وهما قادران على حمايته . . ثم ينفض الرجل يده من الآمر . . فـهى رحمة الله تعالى اقتضت هذا التصرف . . وهو أمر الله لا أمره . . فقد أطلعه على الغيب فى هذه المسأله وفيما قبلها . . ووجهه إلى التصرف فيها وفق ما أطلعه عليه من غيبه :

«رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى »

فالآن ينكشف الستر عن حكمه ذلك التـصرف ، كما انكشف عن غيب الله الذى لا يطلع عليه أحد إلا من ارتضى .

وفى دهشة السر المكشوف والستر المرفوع . . يختـفى الرجل من السباق كما بدا لقد مضى فى المجهول كما خرج من المجهول . .

فالقـصة تمثل الحكمة الكبرى . . وهذه الحـكمة لا تكشف عن نفسهـا إلا بمقدار ثم تبقى مغيبة فى علم الله وراء الأستار »(١).

(١) فى ظلال القرآن ـ سيد سابق ـ جـ ٤ ص : ٢٢٧٨ ط دار الشروق . .

*الحكمة فى السيرة النبوية:

* حين تطالع مصادر السيرة النبوية تجد أنها امتلأت بالحكمة البالغة في القول والعمل.. والمواقف الخالدة .. التي تفيض حكمة وسموا..ومنها:

* موقف النبي صلي الله عليه وسلم قبل نزول الوحي .. يوم اختلفت قريش حول وضع الحجر الأسود .. فكل قبيلة كانت تريد أن تحظي بشرف رفعة ووضعه في مكانه.. وطال الاختلاف.. واحتدم الخصام.. وتسعرت المغايظ.. وكادت تحدث بينهم حرب ضروس طاحنة .. لولا أن أشار أحدهم عليهم أن يحكموا بينهم أول داخل عليهم.. ورضوا بذلك .. وجلسوا ينظرون صوب الباب يترقبون هذا الذي سيحسم الخلاف. وكان من كرم الله عليهم ورحمته بهم .. أن أول داخل عليهم كان النبي صلي الله عليه وسلم وما أن دخل ورأوه حتي صاحوا جميعاً بكلمة واحدة كأنما كانوا علي اتفاق علي تريدها:

«هذا الأمين رضينا .. هذا محمد»

وما أن جلس وعرف سبب الاختلاف حتي قال: «هلم إلي ثوبا»

وأسرعوا إليه بالثوب.. فوضع الحجر فى وسطه ونادي آمرا كل قبيلة أن تأخذ بطرف من الثوب ففعلوا وحملوه حتي وضعوه في مكانه..

وبذلك يكون النبي صلي الله عليه وسلم بحكمته البالغة.. ومنطقه السديد.. وعقله الرشيد .. قد استطاع أن يمنع ما لم يكن يحمد عقباه.. فجمع الشمل .. وحقن الدم .. ومنع الحرب .. وأزال من القلوب الحقد والبغضاء .. وزرع الحب وألف بين القلوب..

❁ ❁ ❁

* ومن المواقف الحكيمة التي سجلتها السيرة النبوية للنبي صلي الله عليه وسلم موقفه صلي الله عله وسلم يوم «بيعة العقبة» حين وقف مبايعا في المدينة:

«أبايعكم علي أن تمنعوني مما تمنعون منه أهليكم وأبناءكم»

- فقام أحدهم وأخذ بيده وقال:

«نعم والذي بعثك بالحق.. لنمنعك مما نمنع منه أنفسنا فبايعنا يا رسول الله.. فنحن والله أبناء الحروب.. وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر».

- فنهض أحدهم وأخذ بيده وقال :

«يا رسول الله إن بيننا وبين اليهود حبالا وإنا قاطعون.. فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلي قومك وتدعنا».

- فتهلل وجه الرسول بابتسامة مشرقة ثم قال:

«بل «الدم الدم .. والهدم الهدم» يعنى أن ذمتي ذمتكم..وحرمتي حرمتكم.. وعهدي وعهدكم سواء .. يعنى : أن المحيا محياهم .. والممات مماتهم..

- ثم نهض «العباس بن عبادة الانصاري «فقال موجها الحديث إلي زملائه الأنصار:

«هل تدورن علام تبايعون هذا الرجل..؟؟

يا معشر الخزرج : إنكم تبايعونه علي حرب الأسود والأحمر من الناس .. فإن كنتم إذا أنهكت أموالكم .. وقتل أشرافكم اسلمتموه . فمن الآن .. فوالله إن فعلتم لهو خزي الدنيا والآخرة .. وإن كنتم وافون له رغم نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه.. فهو والله خير الدنيا والآخرة».

- فصاحوا جميعا : إنا نأخذه .. علي معيبة الأموال وقتل الأشراف،

- ثم نادي بعضهم : فمالنا يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك ..؟

- وأجاب الصادق الأمين بكلمة واحدة : الجنة

وفجأة تحول المؤتمر الي مهرجان يدوي في جنباته هذا النداء :

«ابسط يدك يا رسول الله نبايعك».

وتسابقت الايدي الي يمينه المباركة تشد عليها في ميثاق عظيم .. وحب حميم..

* وتقدمت عبقرية التنظيم التي تتمتع بها شخصية الرسول الكريم .. تقدمت لتكمل العمل المجيد ..

ألقي الرسول نظرة علي هذه الطليعة المبشرة الواعدة ..

لقد كـانوا في حساب العـد ثلاثة وسبعين رجـلا .وسيدتين . . ولكنهم في حـساب القيمة طلع أمة عظمي تتشكل الآن وتتكون . . !!

وحتي لو نظر إليهم بحـساب العد وجده . فإن الرسـول بفطنته وبمقدرته لا يدع هذا الرعيل خارج دائرة النظام المحكم الفعال . . هنالك قال لهم:

«أخرجوا إلي اثني عشر نقيبا. . ليكونوا علي قومهم بما فيهم»

واختاروا اثني عشر نقيبا. . سيكونون مسؤولين . . لا عن بقية اصحابهم من الخمسة والسبـعين بل وعن المؤمنين القادمين مع الأيام ممن سيـفتح الله صدورهم للاسلام عـما قريب . . وكـانت حكمة بالغة ومقـصودة أن جعلهم اثني عـشر نقيبـا حتي يوسع دائرة النفوذ والمسؤولية. . وينفي عنها وطأة التفرد والتركيز . .

* تمت البيـعة . . وتم إختـيار النقبـاء . . وشهد الليل الصـامت ذلك المؤتمر الفريد المجيد . . ولم يبق إلا أن يعـود المجتمعون إلي خـيامهم . . متسللين كـما جاءوا تسلل القطا. . قبل أن يشي بهم ضوء الفجر وتباشير الصباح. .

وهكذا دعاهم الرسول للرجوع إلي رحالهم. . ولكن وقدة الحماس للحق شق عليها أن ترجيء لوم الفصل والصدام. . فصاح العباس بن عبادة الانصاري قائلا:

«والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن علي أهل مني غدا بأسيافنا»

فقال الرسول في هدوء : لم نؤمر بذلك . . ولكن ارجعوا إلي رحالكم»

إن ضبط النفس . . كـان من أروع مزايا الرسول الكريم . . ولقـد شهدنا وسنشـهد تألق هذه المزية في كل المواقف التي تطـلبتهـا فألفـتها دائـما مهـيأة للعـمـل الحـكيم العميم» (١).

❁ ❁ ❁

* ومن المواقف الحكيمة الرشـيدة للنبي صلي الله عليه وسلم. . والتي سـجلتها لنا كتب السيرة النبوية . . ونقلتها لنا بكل صدق وأمانة. . . موقفه صلي الله عليه وسلم يوم صلح الحديبيـة . . وقد جاء هذا الصلح هذا أعقاب غـزوة الخندق تلك الغزوة التي

(١) اسلاميات. . خالد محمد خالد . . كتاب عشرة أيام في حياة الرسول ص : ٦٢١ ط دار الفكر ببيروت

حشـدت قريش لها كل مـا لديها من قوة وبأس ومـعهم الأحابيش.. لكي يقـضوا علي المسلمين والاسـلام.. ولكن الله سـبـحـانه انزل بهم الهـزيمة وكـتب النصـر لرسـوله والمسلمين.. وكان ذلك في العام الخامس الهجري..

* وفي العام السادس للهجـرة.. أخذ رسول الله الحنين والشوق إلي زيارة بيت الله الحرام.. حاجا ومعتمرا..

وخرج عليـه السلام في ألف من أصحـابه من المهاجـرين والأنصار.. وهم يرتدون ملابس الاحرام.. ويسوقون امامهم الهدي.. دليلا علي أنهم لا يريدون حربا. ويعلم الناس في قريش أن رسول الله ما خرج محـاربا. وانما خرج زائرا للبيت الحرام ومعظما له..

* وبينما هم في طريقـهم إلي البيت الحرام. جاءت الأنباء إلي رسـول الله بأن قريشا قد عرفت بهـذه المسيرة.. وقد خرجوا بكل مـا يملكون من قوة لمنع الرسول صلي الله عليه وسلم من دخول مكة..

ثم أرسلت قريش إلي رسول الله تنصحه بالعودة.. فأخبرهم النبي عليه السلام بأنه ما جاء إلا زاذراً للبيت الحرام ولا يريد حربا ولا قتالا..

* وعادت رسل قريش وأخبروهم بأن رسول الله لا يريد حربا فقالوا:

«يا معـشر قريش انكم تعجلون عـلي محمد.. إن مـحمدا لم يأت للقتـال وإنما جاء زائرا للبيت»

فقال سادة قريش:

«إن كان جـاء ولا يريد قتـالا فوالله لا يدخـلها علينا عنوة أبدا ولا تحـدث بذلك عنا العرب».

* فدعـا النبي صلي الله عليه وسلـم «خراش بن اميـة الخزاعي» فبـعثـة إلي قريش ولكنهم أرادوا قتله.. فعاد إلي الرسول سالما..

فاستـدعي النبي عليه السلام «عمـر بن الخطاب» ولكن عمر أخبـره بأنه لا يوجد في مكة من يحميه.. وأن قريشا تكن له العداء.. ولو ذهب لقتلته قريش..

فدعـا النبي صلي الله عليـه وسلم «عثـمان بن عـفان» ليـؤدي هذه الرسالة ويبـشر المستضعفين في مكة من المؤمنين بأن موعد الفتح قد قرب . .

فخرج عثمان الي مكة فلقيه «ابان بين سعـيد بن العاص» فأجاره وبلغ الرسالة فقالوا له حين فرغ من رسالة النبي إليهم:

«إن شئت أن تطوف بالبيت فـافعل فقال: ما كنت لافـعل حتي يطوف به رسول الله . . فاحتـبسته قريش عندها فبلغ رسـول الله والمسلمين أن عثمان قد قـتل . . فقلق عليه المسلمـون . . وتمثلوا غدر قـريش . . فدعـا الرسـول إلي البيـعة والتي سـميت «ببـيعـة الرضوان» فبايعوه علي ألا يفروا حتي الموت وكلهم قوي الايمان ثابت الجنان . .

وانهم لكذلك اذ بلغهم ان عثمان لم يقتل ولم يلبثوا إلا يسيرا حتي جاء عثمان.

وكانت اخبـار بيعة الرضوان قد وصلت إلي اسمـاع قريش فهالها ما سـمعت من امر هذه البيعة وهم يعرفون صدق المسلمين في بيعهم وعهدهم مع الله ورسوله . .

فأرسلت قـريش «سهيل بن عمـرو» لعقد صلح مع رسول الله . . فلمـا رآه الرسول مقبلا قال: قد آراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . .

فلما انتهي سهيل إلي مـوقفه من رسول الله. وكان سهيل مفاوضا سـياسيا بارعا . . وجري بينه وبـين الرسول صلي الله عليـه وسلم للصلح والسلام . . وكـان الاتفاق ان يقوم بين الطرفين صلح اساسه:

* أن يرجع المسلمـون هذا العام دون زيارة البـيت الحرام ودخـول مكة . . فـاذا كان العام التالي تحدد إقامتهم حين يعودون بثلاثة أيـام يطوفون فيها بالبيت الحرام وليس معه شيء إلا السيوف في غمدها والاقواس وهما سلاح المسافر . .

* أن تضع الحرب أوزارها بين الطرفين عشر سنين . .

* من أتي رسـول الله من قريش مسلمـا من غيـر إذن وليه رده إليـهم . . ومن أتي قريشا من المسلمين لم يردوه . .

من أحب أن يدخل في عهد مع الرسول فـله ما أراد. ومن أحب أن يدخل في عهد ع قريش فله ذلك.

* وقبل النبي صلي الله عـليه وسلم كل هذا . . ولكن المسلمين كاد صـوابهم يطير غلا الدم في عروقـهم . . ولم يستطع «عمر بن الخطاب» أن يتـحمل الموقف ويصمت فقال:

«يا رسول الله . . ألست رسول الله حقا؟ . .؟ قال الرسول : بلي.

قال عمر : أولسنا بالمسلمين . .؟ قال الرسول: بلي.

قال عمر: أوليسو بالمشركين . .؟ قال الرسول : بلي.

قال عمر : فلم نعطي الدنية في ديننا. .؟

قال الرسول : أنا عبد الله ورسوله . . ولن أخالف أمره ولن يضيعني»

* ثم كان كتاب الـصلح الذي كتبه علي بن ابي طالب. . وما حدث اثناء كـتابته من أحداث حيث عَزَّ على عليّ بن ابي طالب ان يمحو رسول الله كما طلب سهيل. . فتناول النبي عليه السلام الكتاب من يدي علي. . ومحاه بيده الشريفة وقال له:

يا علي اكتب هذا ما قاضي عله محمد بن عبد الله . . سهيل بن عمرو. .

* لقـد كان الموقف ثقـيلا علي المسلمين وهـم الذي اعزهم الله بالاسـلام ولكن لله حكمـة يريدها. . فالاسـلام دين سـلام لا حرب. . وليـعلم المسلمين كـيف يؤمنون به سبـحانه ويعتمـدون عليه . . وانهم لا يعارضـون امرا اقره رسـول الله صلي الله عليه وسلم. . ولذلك لم يمض عـامـان من يوم الحـديبيـة حـتي دخل الرسـول العظيم مكة فـاتحا. . ودخل النـاس في دين الله افواجـا. . وليتنـهي حـقد القـريش علي الاسـلام والمسلمين إلي الأبد. .

❁ ❁ ❁

* ومن المواقف الحكيمة الرشيدة لرسولنا العظيم. . موقفه يوم فتح مكة. . فقد عزم عليه السلام أن ينصر هؤلاء الضـعفاء الذين تعرضوا للهجوم الغـادر فأرسل عليه السلام الي قريش يخبرها بين دفع دية القـتلي. . أو التخلي عن بني بكر. . أو الغاء المعاهدة. . فاخـتارت قريش إلغاء المعـاهدة. . فوجد النبي في ذلك فـرصته المواتية لتطهـير مكة من الاصنام. . وندمت قريش علي مـا فعلت فأرسلت أبا سفيـان الي رسول الله في المدينة

ليجدد الهدنة.. ولكن رسول الله رفض أن يرد عليه وكذلك ابو بكر وعمر.. فعاد ال مكة دون أن يفعل شيئا..

ولقد أصدر النبي صلي الله عليه وسلم أوامره بالجهاد.. وأخبر الناس بأنه سوف يذهب الي مكة وقال:

«اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتي نبغتها في بلادها»

* وخرج عليه السلام ومعه عشرة آلاف رجل في حرص شديد حتي يفاجيء قريش في مكة.. كما حرص صلي الله عليه وسلم علي ألا تراق قطرة دم واحدة.. حتي اذا اقتربوا من مكة أمر عليه السلام الناس أن يوقدوا النار.. وعسكر الجيش في مر الظهران.. وقد عميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر ولا نبأ.. ثم دخل عليه السلام مكة وهو يحمل شعار الأمن والأمان والسلام.. فذهب الي البيت الحرام وطاف به سبعا.. ثم اخذ يطهر مكة من الحجارة والاصنام فحطمها وألقي بها أرضا وهو يردد قول الحق سبحانه:

«جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»

ثم دخل البيت الحرام فصلّى فيه..

* «كانت قريش لا تزال ترتجف.. فصحيح أن الجيش دخل مكة في سلام.. ولكن ماذا بعد..؟ ماذا سيصنع الرسول والمسلمون بأولئك الذين طاردوهم بالاضطهاد ثم بالحرب طوال عشرين عاما..؟

هل سيعاملهم كمجرمي حرب..؟ وعلي أي شاكلة سيكون القصاص..؟

ونودي الناس ليستمعوا خطاب رسول الله.. واجتمعوا من كل صوب.. ووقفوا مبهورين .. يطويهم الخوف.. وينشرهم الرجاء.. وقف التاريخ ليسجل للبشرية كلها مشهدا جل عن النظير..

وعلي باب الكعبة وقف رسول الله واستهل خطابه فقال:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وهزم الاحزاب وحده»

نصر عبده.. يا لروعة الاختيار.. لماذا لم يقل: نصر رسوله أونبيه..؟؟

إنه في هذا المقام بالذات حيث نشوة النصر قد أسكرت كل شيء حتي جبال مكة الشامخات.. يكون لكلمة «عبد» ترياقها العظيم.. وهذا هو جوهر عظمة محمد صلي الله عليه وسلم..!! إنه لا يري نفسه أبدا شيئا أكبر من عبد لله وخادم..

وفى هذا الوطن حيث تم له النصر والغلب.. وحيث دالت خصومة اعدائه.. وحيث ارتفعت راياته تملأ في جلال النصر جو السماء.. الان وفي هذا الموطن يبلغ شعوره بالعبودية لله أعمق وأبعد مدى..! وبعد أن يهلل لله ويكبر.. ويوجد ويمجد.. يبدأ خطاب النصر الذي أرهفت لسماعه القلوب.. تري كم سيطول خطاب النصر هذا..؟ كم سيأخذ من ساعات ذلك اليوم المشهود..؟ وماذا ستكون كلماته الآخذة القاهرة..؟

لننظر..

وفى لحظة الصمت التي اعقبت هذا النداء ازدحمت مئات الخواطر فى حسبان القرشيين كلها تتخيل العبارة التالية.. صاعقة تسحق ما قدمت أيديهم من شر وسوء..

لكن العبارة التالية كانت أبعد ما تكون عن كل ما توقعه المتوقعون:

«إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية.. وتعظمها بالآباء.. الناس لآدم وآدم من تراب» ثم تلا الآية الكريمة: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»

هذا رسول كريم.. ليس لديه وقت للضغن. ولا للثأر.. ولا للقصاص.. إن كل حياته منذورة لرسالته.. وها هو ذا بعد توحيد الله.. يعلن كرامة الانسان.. لا تفاخر بالأحساب.. ولا تعاظم بالأنساب.. الناس سواء.. واكرمهم أتقاهم..!!

ثم عاد يقول: يا معشر قريش..

واشرأبت الأعناق من جديد.. وزاغت الابصار.. لكن البشري هطلت سريعا كغيث السماء..: ما تظنون أني فاعل بكم.؟

وهدرت الجموع الوجلة بكلمة واحدة.. كأنما كانوا علي اتفاق بترديدها..:

«خيرا . . أخ كريم . . وابن اخ كريم»

وتهلل ثغر المصطفي وقال : «اذهبوا فأنتم الطلقاء»

هذا هو خطاب النصر في اليوم العظيم للنصر العظيم . . لم يستغرق سوي دقيقتين أو ثلاث . . مجد الله فيها وحمد . . واعلنت كرامة الانسان الجديد الذي ينشئه الاسلام . وغمر المذنبون الذين كانوا ينتظرون القصاص ويستحقونه بأنبل عفو . وأجمل صفح . . !

هذا هو سلوك الرسول ومسلك الاسلام . . »(١)

* وفي هذا اليوم الجليل والفتح العظيم اسلم كثير من صناديد الكفر واعداء الاسلام ومنهم : «عتاب بن أسيد . . والحارث بن هشام . . وعكرمة بن أبي جهل . . وفضالة . .

وصفوان بن أمية . . وعثمان بن طلحة . . وأبو سفيان بن حرب .

كما أسلمت «هند بنت عتبة» التي لاكت كبد حمزة . . ومثلت بجثته . . وأخرجت أمعاءه . .

وجعلت منها قلادة تزين صدرها وسط غناء القيان ووقع الدفوف . . فعفا عنها النبي صلي الله عليه وسلم رغم ما فعلته من جريمة نكراء . . وصدق الله العظيم الذي يقول عنه :

«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»

❁ ❁ ❁

** وهذا غيض من فيض من المواقف الحكيمة الرشيدة لرسولنا العظيم . . والتي نقلتها لنا السيرة النبوية . .

ولقد روي لنا التاريخ أنباء ثلة مباركة آمنت بالله ورسوله فحولهم الإيمان من جبابرة عتاة . . إلي قلوب تفيض رحمة وشفقة وحنانا . . وصنع منهم الإيمان رجالا حققوا للإسلام بطولات عظيمة . . سيظل التاريخ يذكرها ما بقيت روح تنبض في جسد بالحياة

---

(١) اسلاميات - خالد محمد خالد - كتاب عشرة أيام في حياة الرسول . ص ٦٦٦ طـ دار الفكر بيروت . .

حتي تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها . .

وكان لكل واحد من هؤلاء الأبرار المباركين مشهد من مشاهد الايمان التي سجلها لنا التاريخ يدل علي عظمته وحكمته وخشوعه . .

ومن هؤلاء المؤمنين الخالدين العظماء:

«أبو بكر الصديق . . وعمر بن الخطاب . . وعثمان بن عفان . . وعلي بن ابي طالب . وسعيد بن عامر . . وزيد بن حارثة . . وسعد بن ابي وقاص . . وخالد بن الوليد وغيرهم الكثير من هؤلاء الذين نذروا واجباتهم للاسلام والمسلمين . .

❁ ❁ ❁

* ومن المواقف الحكيمة المشهودة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه - موقفه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقد جاء رضى الله عنه حين نعى إليه الناعى النبأ الفاجع الذى يهدّ الجبال . . فحمد الله واسترجع . . وأغذ السير إلى بيت رسول اللهّ - ودخل على رسول الله، وهو مُسَجّىً فى ناحية البيت . . فكشف الغطاء عن وجهه ثم قبله، وقال مخاطبا الجسد الكريم:

« بأبى أنت وأمى يارسول اللّه طبت حيا وميتا»

ثم رد الثوب على وجه الرسول وخرج . . فأبصر عمر يدمدم بكلمات كألسنة اللهب شاهرا سيفه . . ثم صاح قائلا:

« إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله مات . . وإنه والله مامات . . ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران .٠.

« والله ليرجعن رسول الله . فليقطعن أيدى رجال زعموا أنه مات . . ألا . . لا أسمع أحدا يقول إن رسول الله مات . . إلا فلقت هامته بسيفى هذا»

* ولم يكن هناك من أحد يستطيع أن يكلم عمر . . ولو بكلمة واحدة . . فهو يحمل سيفا فى يده . . والحاضرون جميعهم يعرفون من هو عمر . .

وهنا يخرج أبو بكر على الناس وعمر بينهم فقال:

« أيها الناس. . من كان يعبد محمدا . . فـإن محمداً قد مات . . ومن كان يعبد الله . . فإن الله حى لا يموت»

ثم تلا هذه الاية:

« وما مـحمـد إلا رسول قـد خلت من قـبله الرسل أفإن مـات أوقتل انقلبـتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »

وهنا يغمد عمر سيـفه فى جرابه. . ويقع علي الأرض من هول الكلمات يبكى حتى بَلَّ الثرى من كثـرة دموعه. . ولما أفاق قال : « وكـأنى أسمع هذه الاية لأول مرة » ثم دخل الناس على رسول الله يودعونه الوداع الأخير ومعهم عمر . .

* ترى . . لو لم يكن أبو بكر نطق بهـذه الكلمات الحكيـمة . . ؟ ومـاالذى كان سيحدث . .؟

وماذا . لو لم يكن هناك أبو بكر . . ؟؟

ولكن صـاحب القلب الكبـيـر . . والرأى السـديد. . والمنطق الحـكيم . . منع كل ماكـان سيـحدث من عـمر الذى فـوجىء بموت الرسول عليـه السلام فطار صـوابه . . وحدث منه ماحدث . .

❁ ❁ ❁

* ومن المواقف الحكيـمة المشـهـودة فى حيـاة أبى بكر الصـديق رضى الله عنه . . موقفه من بعث « أسامة بن زيد»

فقبل موت رسـول الله . . كان عليه السلام قد أعد جيشـا تحت إمرة أسامة بن زيد وجهه إلى الشام. .

وكان « أسـامة » مايزال فتى صـغيرا لم يجـاوز العشرين من عمـره . . ولقد أوصى صلى الله عليه وسلم قبل موته وقال : « أنقذوا بعث أسامة »

وبعد مـوته صلى الله عليه وسلم وتوليـة أبى بكر الصديق . . كـان هناك فريق من المسلمين وعلى رأسـهم « عمـر بن الخطاب» يعارض أن يكون « أسـامة » قائدا لـلجيش نظرا لصغر سنه . . لأن هذا فيه مخاطرة على الجيش الإسلامى . .

* وانظر معى إلى المشهد العظيم الفريد الحكيم لأبى بكر الصديق .. لقد وثب من مكانه .. وأخذ بلحية عمر .. ونطق بكلمات كسهام انبعثت من أقواسها : « ويحك يا ابن الخطاب.. أيوليه رسول الله وتأمرنى أن أعزله »

ومشى أبو بكر على قدميه إلى جوار أسامة الذى كان ممتطيا ظهر فرسه..

واستحيا أسامة فهم بالنزول داعيا خليفة رسول الله إلى الركوب .. فثبته أبو بكر بيده فى مكانه وهو يقول :

« والله لا نزلت ولا أركب .. وماذا علىَّ أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة»

❁ ❁ ❁

* ومن المواقف الحكيمة فى حياته رضى الله عنه والتى تدل على رجاحة عقله .. وقوة إيمانه .. موقفه الحكيم من رسول الله يوم سمع برحلته المباركة « الاسراء والمعراج» فقد جاء القوم إليه فرحين ساخرين شامتين وقالوا له:

« ياأبا بكر . إن صاحبك يقول : إنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس .. ثم عرج به إلى السماوات العلى .. وذهب ليلا .. وعاد ليلا .. وأصبح بين أظهرنا » فيجيبهم أبو بكر :

« إن كان قال فقد صدق .. إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك .. أصدقه فى خبر السماء يأتيه فى غدوة أو روحة »

موقف حكيم .. ومنطق رشيد .. لأنه إذا كان يصدقه فيما هو أبعد من ذلك .. وهوماينزل به الوحى عليه .. أفلا يصدقه فى إنه أسرى به فى جزء من الليل .. ؟ وهل يشك فى قدرة الله الذى آمن من به .. ؟

إنه الإيمان القوى .. الذى يطمئن القلوب .. ويسمو بالنفوس.. ولذلك جرى أبوبكر إلى رسول الله .. ولما أبصره عانقه بحرارة وقال له :

« والله إنك لصادق .. والله إنك لصادق »

❁ ❁ ❁

* وكما سجلت السيرة النبوية مواقف حكيمة لأبى بكر .. كذلك سجلت مواقف حكيمة رشيدة للفاروق عمر الذى شغل التاريخ عما سواه بسيرته .. وأجبر الناس على

أن تلهج ألسنتهم بمواقفه . .

* ومن المواقف الإيمانية العظيمة فى حياته . . والتى تدل دلالة واضحة على حكمته وزهده . . وورعه . . وأخلاصه . . :

إنه لما أكرمه الله بالإسـلام . . أسلم غير خائف . . وماترك مجلسـا كان يجلس فيه بالكفر الا وأعلـن فيه إسـلامه . . ولذلك ذهب إلى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم وقال له :

« يأبى أنت وأمى يارسول . . فوالله ماتركت مجلساً كنت أجلس فيه بالكفر . . إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خـائف . . ألا لن نعبد الله سرا » حتى إنه كان يذهب إلى الأصنام والناس حولها يطوفون ويقول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله»

❁ ❁ ❁

* ولما تولى الخلافـة الإسلاميـة . . وبايعه المسلمون خـليفة للمـسلمين . . وجاءت الوفود لتهنه بالخـلافة قام من فوره وأحضر قـربة وملأها ماء وحملها فوق ظهـره فقيل له : ماهذا ياأمير المؤمنين . . ؟

قال : لا شىء غير أن نفسى حدثتنى بالكبر فأردت أن أذلها »

❁ ❁ ❁

* وذات يوم كان يخطب على المنبر فقال : اسمعوا يرحمكم الله . .

وإذا بسلمان الفارس يقول: والله لا نسمع . .

ويسأل عمر : ولم لا تسمع ياسلمان . .؟

فيقول سلمان: ميـزت نفسك علينا فى الدنيا . . أعطيت كل واحد منا بردة وأخذت أنت بردتين. .

فنظر عمر إلى جموع الناس وقال : أين عبد الله بن عمر . . ؟

فقال عبد الله : ها أنذا ياأمير المؤمنين. .

فيسأله عمر أمام الناس: من صاحب البردة الثانية . . ؟

فيجيب عبد الله : أنا ياأمير المؤمنين

فيقول عمر لسلمان وللناس: إنكم كما تعلمون رجل طوال ولقد جاءت بردتى قصيرة فأعطانى عبد الله بردته فأطلت بها بردتى . .

فقال سليمان والفرح يعلو وجهه : الحمد لله . والآن قل نسمع . ونطع ياأميرالمؤمنين »

❁ ❁ ❁

* وذات يوم جلس رضى الله عنه . . ليقسم أموال بيت المسلمين . . فأعطى «أسامة بن زيد » ضعف ماأعطى ابنه « عبد الله»

فقال عبد الله : لقد فضلت علىَّ أسامة وقد شهدت مع رسول الله مالم يشهد . . فيقول له الفاروق : يابنى . إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك . . وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك . . »

❁ ❁ ❁

* وذات يوم رأى « جابر بن عبد الله » وفى يده لحم . . فسأله : ماهذا ياجابر . . ؟

قال جابر : هو لحم اشتهيته فاشتريته

فقال له عمر : أو كلما اشتهيت اشتريت . . أما تخاف أن يقال لك يوم القيامة : أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها »

❁ ❁ ❁

** ومن المواقف الحكيمة فى حياة « عثمان بن عفان» رضى الله عنه . . حين حاصره الثوار يريدون قتله أو عزله من الخلافة . . فقال له المغيرة بن شعبة :

« ياأمير المؤمنين . . لقد نزل بك ماترى . . وإنى أشير عليك بثلاث اختر احداهن:

– إما أن تخرج فنقاتلهم فإن معك قوة وعددا . . وأنت على حق وهم على الباطل . .

– وإما أن نفتح لك من خلف الدار بابا تخرج منه فى غفلة منهم حيث تحملك رواحلك إلى مكة فإنهم لن يستحلوا دمك وأنت بها . .

واما أن تلحق بالشام . . فإن بها معاوية . . »

* فيقول رضى الله عنه:

– أما أن أخرج فاقاتلهم: فو الله لن أكون أول من يخلف رسول الله فى أمته بسفك الدماء . .

– وأما الخروج إلى مكة : فانى سمعت رسول الله يقول يوما : يُلْحَدُ رجل من قريش بمكة . . يكون عليه نصف عذاب العالم . . ولن أكون هذا الرجل . . !!

– وأما خروجى إلى الشام لأن فيها معاوية . . : فلا والله ولن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله ماحييت

❁ ❁ ❁

** ومن المواقف الحكيمة فى حياة الامام الجليل « على بن أبى طالب » كرم الله وجهه وأرضاه : ماروى أن رجلا جاء إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقال له :

ياأبا بكر . . لقد حلفت على امرأتى وقلت لها : لن أقربك حتى حين . . فقال أبو بكر : ماأرى إلا أنها قد حرمت عليك الدهر كله . .

والدليل قوله تعالى « ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين »

* فذهب الرجل إلى عمر رضى الله عنه . . فقال له عمر : الحين فى كتاب الله أربعين سنة . .

والدليل قوله تعالى « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً » فقد خلق الله آدم من الطين وركب فيه الروح بعد أربعين سنة . .

– فذهب الرجل إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال له عثمان : الحين فى كتاب الله سنة والدليل قوله تعالى « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها»

* فذهب الرجل إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأرضاه فقال له على : «راجع امرأتك . . فالحين فى كتاب الله يوم أوليلة . .»

والدليل قوله تعالى « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون »

❁ ❁ ❁

** قطوف من أدب الحكمة **

* قطوف من أدب الحكمة *

* دعوة المظلوم .

.روى أنه لما سجن جعفر بن يحيى البرمكى وأبوه . . وقد كان وزيرا لهارون الرشيد . . – قال لأبيه :يا أبت . . بعد الأمر والنهى أصارنا الدهر إلى القيود . . وبعد القصور أصارنا الدهر فى السجون . . ؟

فقال الأب : يابنى إنها دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها»

❁ ❁ ❁

* شجاعة امرأة .

. أخذ الحجاج بن يوسف الثقفى . يحادث أمرأة مايقرب من ساعة وهى لا تنظر إليه . .

فقال : أحادثك منذ ساعة ولا تنظرين إلَّى وأنت امرأة . . ؟

قالت : إنى أستحى أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه»

❁ ❁ ❁

* أخلاق الصالحين .

* سأل هارون الرشيد . . أبا يوسف . . قاضى القضاة فى عهده . . عن أخلاق الإمام أبى حنيفة . . ؟

فقال : كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله . . مجانبا لأهل ادنيا . . طويل الصمت . . دائم الفكر . . لم يكن مهذارا . . ولا ثرثارا . . إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب . . وماعلمته ياأمير المؤمنين إلا صائبا لنفسه ودينه . . مشتغلا بنفسه عن الناس . . لا يذكر أحدا إلا بخير . .

فقال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين »

❁ ❁ ❁

* بكاء الصالحين .

. بكى أحد الصالحين . . فقيل له : مايبكيك . . ؟

قال : أبكى على من ظلمنى إذا وقف غدا بين يدى الله ولم تكن له حجة يدافع بها عن نفسه»

❀ ❀ ❀

* الفخور بربه.

. يقول الإمام على كرم الله وجهه وأرضاه:

« كفانى فخرا أن تكون لى ربا . . وكفانـى عزا أن أكون لك عبدا . . أنت كما تريد . . فاجعلنى كما تريد.

❀ ❀ ❀

* بئس العبد هذا .

. يقول صلى الله عليه وسلم:

. بئس العبد . . عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال . .

. بئس العبد . . عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى . .

. بئس العبد . . عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى . .

. بئس العبد . . عبد عتى وطغى ونسى المبتدأ والمنتهى . .

. بئس العبد . . عبد يختال الدين بالشهوات . .

. بئس العبد . . عبد طمع يقوده . .

. بئس العبد . . عبد هوى يضله . .

. بئس العبد . . عبد رغب يذله . .

❀ ❀ ❀

* الصلح خير .

. شتم رجل أبا الدرداء رضى الله عنه فقال له :

« ياهذا لا تكثر في شـتمنا، واجعل للصلح بـيننا وبينك موضعـا . . فإننا لا نكافىء

من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه »

❁ ❁ ❁

*كرم الدين والأدب.

. قال أبن المقفع :

« إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان . فلا يعجبنك ذلك . . فإن زوال الكرامة بزوالهما . . ولكن ليعجبك إن أكرموك لدين أو أدب»

❁ ❁ ❁

* سبع خصال ..

. قال أحد العارفين :

« اجتنب سبع خصال . يسترح جسدك . . وقلبك . . ويسلم لك عرضك ودينك:

. لا تحزن على مافاتك . .

. ولا تحمل هَمَّ مالم ينزل بك . .

. ولا تلم الناس على مافيك مثله . .

. ولا تطلب الجزاء على مالم تعمل . .

. ولا تنظر بشهوة إلى مالم تملك . .

. ولا تغضب على من لا يضره غضبك . .

. ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك . »

❁ ❁ ❁

* لا تصادق هؤلاء .

- يقول أحد الصالحين لابنه : لا تصحبن خمسة ولا تتخذهم لك إخوانا :

- الفاسق . . فإنه يبيعك بأكله فى دونها . .

- والبخيل . . فإنه يخذلك بما له وأنت أحوج ماتكون إلى معونته .

– والكذاب . . فإنه كالسراب . يبعد منك القريب . . ويدنى البعيد . .

– والأحمق . . فإنه يريد أن ينفعك فيضرك . .

– وقاطع الرحم . . فإنه ملعون فى كتاب الله . . »

❀ ❀ ❀

* عبادة الله .

. يقول زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما :

« إن قوما عبدوا الله رهبة من العذاب . . . فتلك عبادة العبيد . .

وقوما عبدوه رغبة فى غرض . . . فتلك عبادة التجار . .

وقوما عبدوه امتثالا وشكرا . . فتلك عبادة الأحرار . . »

❀ ❀ ❀

* دعاء بلا إجابة .. لماذا .. ؟

. مَرَّ إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه . يوما فى سوق البصرة . . فاجتمع الناس إليه وسألوه : ياأبا اسحاق . . مالنا ندعوا الله فلا يستجيب لنا . . ؟

فقال : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء :

. عرفتم الله فلم تؤدوا حقه . .

. وقرأتم القرآن ولم تعملوا به .

. وزعمتم محبة رسول الله وتركتم سنته . .

. قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها . . والجنة حق ولم تعملوا لها . .

. عرفتم الباطل واتبعتموه . . وعرفتم الحق وتركتموه . .

. وقلتم إن الشيطان عدوكم ووافقتموه. .

. أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها . .

. وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له. .

. دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم . .

. واشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم . .

فكيف يستجيب الله دعاءكم . . ؟ »

❁ ❁ ❁

* لا أمان لهؤلاء .

. لا أمان للدهر ولوصفا . .

ولا المال ولو كثر . .

. ولا السلطان ولو قرب منك . .

. ولا المرأة ولو طالت عشرتها . .

* عجبت لهؤلاء . .

. يقول الامام على كرم الله وجهه :

. عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذى منه هرب . . ويفوته الغنى الذى إياه طلب . . يعيش فى الدنيا عيش الفقراء . . ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء . .

. وعجبت للمتكبر الذى كان بالأمس نطفة . ويكون غدا جيفة . .

. وعجبت لمن شك فى الله . وهو يرى خلق الله . .

. وعجبت لمن ينسى الموت . وهو يرى من يموت»

❁ ❁ ❁

* رجاء المغفرة .

. روى أنه لما حضرت هشام بن الملك الوفاة . . نظر إلى أهله . . وهم يبكون حوله فقال :

جادلكم هشام بالدنيا . . وجدتم له بالبكاء . .

وترك لم ماجمع . . وتركتم عليه ماحمل . .

ماأعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له »

❀ ❀ ❀

* يوم الآذان .

. نادى رجل على سليمان بن عبد الملك وهو يخطب على المـنبر فقال : ياسليمان . أذكر يوم الآذان . .

فقال سليمان : ومايوم الأذان ؟

قال الرجل : يوم يؤذن المؤذن يوم القيامة أن لعنة الله على الظالمين .

فقال سليمان : وماظلامتك . . ؟

قال الرجل : أرض بمكان كذا أخذها وكيلك ظلما . .

- فكتب سليمان إليه : ادفع إليه أرضه . وأرضا مع أرضه »

* كلمات .. للتأمل *

* يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

. إن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه . . »

. صنائع المعروف تقى مصارع السوء . . »

. البلاء موكل بالمنطق . .

. احرص على الموت توهب لك الحياة »

. ليست مع العزاء مصيبة . . »

. . أطوع الناس أشدهم بغضا لمعصيته . . »

. إن الله يرى من باطنك مايرى من ظاهرك . . »

. بئس الجار الغنى يأخذ منك بمالا يعطيك من نفسه . . »

❀ ❀ ❀

* ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

. من كتم سره كان الخيار فى يده . . »

. اتقوا من تبغضه قلوبكم . . »

. أعقل الناس أعذرهم للناس . . »

. اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى بدعة . . »

. أشقى الولاة من شقيت به رعيته . . »

. لو أن الصبر والشكر مطيتان لما باليت أيهما أركب . . »

. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . . »

. يهدم الإسلام : ذلة عالم . . ومنافق بالقرآن . . »

. قوموا بالحق ولو ساعة من النهار . . »

. من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن . . »

. من كثر مزاحه كثر سقطه . ومن قلّ ورعه قلّ حياؤه . . »

. لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شرا . وأنت تجد لها محملا فى الخير . . »

. إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة . . مفسدة للجوف . . مؤدية للسقم . . »

. الزاهد إذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة . . فهو لص . . »

*** ويقول عثمان بن عفان رضي الله عنه :**

. يكفيك من الحاسد إنه يُغَمُّ وقت سرورك . . »

. يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن . . »

. أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال . . »

. جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم . . »

. من ترك الدنيا أحبه الله . . ومن ترك الذنوب أحبته الملائكة . . ومن حسم الطمع عن المسلمين أحبه المسلمون »

. خير العباد من عصم واعتصم بالله . . ونظر إلى قبر فبكى وقال عنه : أو ل منازل الآخرة منازل الدنيا »

❁ ❁ ❁

* ويقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

. من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه . . »

. إذا تم العقل نقص الكلام . . »

. المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر . . »

. احذروا صولة الكريم إذا جاع . . »

. أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . . »

. العفاف زينة الفقر . والشكر زينة الغنى . . »

. أكبر العيب أن تعيب مافيك مثله . .»

. البخل جامع لمساوىء العيوب . وزمام يقود إلى سوء . .»

. أشد الذنوب مااستخف به صاحبه . . »

. من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته . . »

. قطيعة الجاهل تعادل صلة العاقل . . »

. قلب الأحمق وراء لسانه . . ولسان العاقل وراء قلبه . . »

. إذا قدرت على أحد فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه . . »

. أفضل الأعمال ماأكرهت عليه نفسك . . »

. السكوت عن الأحمق جوابه . . »

. أعجاب المرء بنفسه عنوان لضعف عقله . . »

. المعروف كنز فانظر عند من تودعه . . »

. حسن الأدب يستر قبيح النسب . . »

. ثروة العاقل فى علمه . وثروة الجاهل فى ماله . . »

. تعلم العلم . فإن كنت غنيا زانك . وإن كنت فقيرا صانك . . »

. من حين كلامه كانت الهيبة أمامه . . »

. ليس العار أن نسقط . ولكن العار أن نبقى حيث سقطنا . . »

. من عذب لسانه كثر إخوانه . .»

. الراضى بفعل قوم كالداخل معهم . . »

. المرء مخبوء تحت لسانه فاذا تكلم ظهر . . »

. بالبر يستعبد الحر . . »

. من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع . . »

. من صارع الحق صرعه . .»

. الناس أعداء ماجهلوا . . »

. العاقل إذا سكت فكر . . وإذا نطق ذكر وإذا نظر اعتبر . . »

*** ويقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :**

. لست بخيركم إنما أنا رجل منكم . غير أنى أثقلكم حملا . . »

. خير الناس من كان عند الله متواضعا . . »

. كانت الهدية فيما مضى هدية . . أما اليوم فهى رشوة . . »

. إذا دعتك قدرتك على ظلم العباد . فتذكر قدرة الله عليك . . »

. إن لكل سفر زاد فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة . . »

. إذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلا . فلا تأخذ عليه شرف المجلس . . »

. إن هذه الأمة لم تختلف فى خالقها . ولا فى نبيها . . ولا فى كتابها . . وإنما اختلفت فى الدينار والدرهم . . »

❁ ❁ ❁

* كلمات من الحكمة *

. لا يمكن أن تحصل على وردة بزرع نبات ضار . . »

. من طلب فوق قدره استحق الحرمان . . »

. لا يشعر بلذة الغنى من لم يذق مرارة الفقر . . »

. لا تعمل فى السر ماتستحى منه فى العلانية . . »

. أعظم الناس قدرا من ظهر اسمه وخفى شخصه . . »

. من أكبر مآس الحياة أن يموت شىء داخل الإنسان وهو مايزال حيا . . »

. الماضى يبدوا جميلا لأنه انتهى ولن يعود . . »

. سهل أن نتحمل الظلم ، وصعب جدا أن نتحمل العدالة . . »

. اذا فقد الإنسان شرفه ليس لديه مايفقده . . »

. لص ظريف يسرق شبابنا اسمه الزمن . . »

. فعل المرء يدل على أصله . . »

. أرقب عدوك على أنه أسد ولو كان فأرا . . »

. يهب الله كل طائر زرقه ولكنه لا يلقيه له فى عشه . . »

. الطبيب يحارب المرض مع أنه المصدر الوحيد لرزقه . . »

. عندما يركلك البعض من الخلف فاعلم أنك تسير فى المقدمة . . »

. الأكذوبة كالسمكة على الرمال الجافة تموت وحدها مهما عاشت . . »

. المنافق يربح ويخسر نفسه . . »

. الموت يعلم الناس أكثر مما يلقنهم ضميرهم . . »

. كل إنسان سعيد بذكائه وغير سعيد بخطه . . »

. إن أفرغ الناس هو من لا يستطيع أن يملأ ساعات فراغه . . »

. الضمير هو ذلك الشيء الذى يؤلمنا عندما نشعر بالسعادة . . »

. النجاح هو شعاع فى طريق الأمل. . »

. إذا سلمت من الأسد فلا تطمع فى صيده. . »

. كل قلب أنانى يستحق العذاب الذى يعانيه . . »

. لا تبصق فى بئر فربما تشرب منه يوما. . »

. الحياة وردة إن لم نعرف قطفها تعرضنا لأشواكها. . »

. اليأس نقطة سوداء فى عالم مضىء »

. الأمل شمعة مضيئة فى طريق مظلم . . »

. لا تفرح بسقطة غيرك فإنك لا تدرى ماتفعل الأيام بك . . »

. عظمة الفنان ليست فى يده وإنما فى قلبه . . »

. بعض الناس عندما تنتزع أقنعتهم يتضح إنهم بلا وجوه . »

. من عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوماً . . »

. لا يكفى أن تكون فى النور لترى بل ينبغى أن يكون فى الفور ماتراه . . »

. لا تجعل ثيابك أغلى شيء فيك حتى لا تجد نفسك يوما أرخص مما ترتدى . .

. حارب عدوك بالسلاح الذى يخشاه هو لا بالسلاح الذى تخشاه أنت. . »

. الضربة التى لا تميتنى تزيدنى صلابة . . »

. الإغراق فى تكريم غير المستحق سخرية . . »

. اللص خير من رجل اعتاد الكذب. . »

. الإنسان لا يجد مايريده ولا يقدر ماعنده. . »

. الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع وإن أكثرت منه قتل . . »

. من يعمل ليس لديه وقت للدموع . . »

. خير الإخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك . . »

. الصديق الحقيقى من يطعنك فى مواجهتك . . »

. صديق يقف معك فى الأزمات خير من ألف يقفون معك فى الأفراح . . »

. الصديق الوفى حصن منيع وإن وجدت واحدا فقد وجدت كنزا . . »

. الإنسان بآدابه لا بزيه وثيابه . . »

. المرأة نصف الحياة إذا أخلصت لزوجها . . »

. أروع آيات الطبيعة قلب الأم . . »

. لوجردنا المرأة من كل شىء لكفاها شرف الأمومة . . »

. على قدر الحب من المرأة يكون انتقامها . . »

. الأمومة هى أنصع رمز لنجاح المرأة فى دنيا البقاء . . »

. كنوز العالم لا تساوى المرأة الفاضلة المتعلمة . . »

. آخر مايموت فى الرجل قلبه وفى المرأة لسانها . . »

. إن جمال المرأة لا يساوى شيئا إلى جانب سلوكها العام . . »

. من أراد صداقه بلا متاعب فليبتعد عن المرأة . . »

. المرأة هى التى تلد الرجل ثم تخرب بيته . . »

. لا تكون المرأة أما بولادتها بل بتربيتها لأولادها . . »

. المرأة قد تصفح عن الخيانة ولكنها لا تنساها . . »

. سلاح المرأة لسانها فكيف تدعه يصدأ بعدم الاستعمال . . »

. الرجال أكثر مشاكل من النساء وأولى مشاكلهم كيفية معاملة النساء . . »

. تتسسامح المرأة عندما تشعر بأنها مخطئة . . »

. الشيطان أستاذ الرجل وتلميذ المرأة . . »

. كن زعيم الناس إن استطعت . فإن عجزت فكن زعيم نفسك . . »

. من كان كلامه لا يوافق فعله فهو يوبخ نفسه . . »

. لا تنجو الفضيلة من لؤم الشاتم . . »

. العلم كالذهب ثابت فى كل مكان . . »

. الإسراع فى رد الجميل انكار للجميل . . »

. كل الناس يطلبون السعادة ولكن قليل من يجدها . . »

. إذا أردت ألا ينس إحسانك فكرره . . »

. منتهى الجنون أن يرتدى إنسان ثيابه وسط عالم كله عراة . . »

. الحياة كتاب جميل ولكن غير ذى نفع لمن لا يستطيعون قراءته . . »

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

*الموعظــة الحسنة *

- ماهى الموعظة .. ؟
- الموعظة فى القرآن ..
- مواعظ الأنبياء والمرسلين ..
- مواعظ الصحابة والصالحين ..

* الموعظة *

. جاء في معاجم اللغة :

وعظ يعظه وعظا وعظة : نصحه وذكره بالعواقب وأمره بالطاعة ووصاه بها . .

والموعظة : مايقال به من قول أو فعل . .

والواعظ : من ينصح ويذكر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوجه إلى الخير . .

*** يقول صاحب العقد الفريد:**

« والموعظة ثقيلة على السمع . . محرجة على النفس . . بعيدة عن القبول . . لإعتراضها الشهوة . . ومضادتها الهوى الذى هو ربيع القلب . . ومرد الروح . . ومربع اللهو ومسرح الأمانى . . . إلا من وعظه علمه . وأرشده قلبه. وأحكمته تجربته . . »

*** وقولهم :**

« والموعظة مانعة لك مما تشتهى . . حاملة لك ماتكره . . إلا أن تلقاها بسمع قد فتقته العبرة . . وقلب فدحت فيه الفكرة . . ونفس لها من علمها زاجر . . ومن عقلها رادع . . فيفتح لك باب التوبة ، ويوضح لك سبيل الإنابة .

قال صلى الله عليه وسلم :

« حفت الجنة بالمكاره . . وحفت النار بالشهوات »

– يريد : أن الطريق إلى الجنة احتمال المكاره فى الدنيا، والطريق إلى النار ركوب الشهوات . .

*** وخير الموعظة :**

ماكانت من قائل مخلص إلى سامع منصف ، كموعظة لقمان الحكيم لابنه :

« وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » فهذه موعظة خالصة مبرأة من الهوى والضلال والزيغ . . بعيدة عن المجاملة والنفاق . . لأنها صادرة من أب لابنه . . والأب دائما وأبدا وفى كل الأحوال يريد الخير ، كل

الخير لأولاده ، ويتمنى أن يراهم أحسن الناس فى كل شىء . . ، ولقمان ذلك الرجل الذى وهبه الله الحكمة والعلم . . لا يأمر إلا بالخير خاصة إذا كان الذى يعظه ويوجه إليه النصيحة هو ابنه . .

❁ ❁ ❁

* الموعظة في القرآن :

. وردت الموعظة فى القرآن الكريم فى خمسة وعشرين موضعاً . . بمعان متعددة مختلفة . . منها :

وردت الموعظة بمعني النصيحة .

قال تعالى :

« ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنى حميد وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » (١)

٢- وردت الموعظة بمعني القرآن ..

قال تعالى :

« يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين» (٢)

وقال تعالى :

« ولقد أنزلنا اليكم آيات مبيئات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين»(٣)

٣- وورد الموعظة بمعني التوراة..

قال تعالى: « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها

(١) سورة لقمان: ١٢ -١٣
(٢) سورة يونس: ٥٧
(٣) سورة النور: ٣٤

بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » (١)

٤- ووردت بمعني الإنجيل ..

قال تعالى :

« وقفينا على آثارهم بعـيسى أبن مريم مصدقا لمـا بين يديه من التوراه وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراه وهدى وموعظة للمتقين » (٢)

٥- ووردت الموعظة بمعني الخوف من الله ...

قال تعالى :

« الذين يأكلون الربا لا يقومـون إلا كما يقوم الذى يتخـبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قـالوا إنما البيع مثل الـربا وأحل الله البيع وحـرم الربا فمن جاءه مـوعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٣)

٦- ووردت الموعظة بمعني الدعوة إلي الله ..

قال تعالى :

« ادع إلى سبـيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجـادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (٤)

وقال تعالى :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم. لعلكم تذكرون » (٥)

❁ ❁ ❁

(١) سورة الاعراف: ١٤٥

(٢) سورة المائدة : ٤٦

(٣)سورة البقرة : ٢٧٥

(٤) سورة النحل : ٩٠

(٥) سورة النحل: ١٢٥

* مواعظ الأنبياء عليهم السلام.

. لقد سجل القرآن الكريم كثيرا من مواعظ الأنبياء والمرسلين لأقوامهم وأبنائهم .. كموعظة نوح عليه السلام لقومه وابنه .. وموعظة هود .. وصالح .. ويعقوب .. وشعيب .. ولوط .. وموسى .. وعيسى . عليهم السلام .

. ومن هذه المواعظ :

ماورد فى سورة الأعراف من مواعظ ونصائح فيها دعوة إلى الإيمان بالله .. وأفراده بالوحدانية .. ونبذ عبادة الأصنام ، وتقديس الأوثان ..وتذكر باليوم الآخر ، ومافيه من ثواب وعقاب .. وحشر وحساب .. ووزن وميزان .. وجنة أو نار ..

* فها هو نوح عليه السلام يعظ قومه .. موجها إليهم النصيحة .. بصدق وأمانة .. كما جاء فى النص الشريف:

« لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأمن قومه إنا لنراك فى ضلال مبين .

قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين » (١)

* وحين صنع الفلك وركب فيها هو ومن آمن معه وما آمن معه إلا قليل .. نادى على أبنه خوفا عليه من الهلاك .. وقد استيقظت فى كيانه الابوة الملهوفة .. كما جاء فى الآيات الشريفة التى ينصح فيها نوح ابنه بالركوب معه حتى ينجو من الهلاك : «وقال اركبوا فيها بأسم الله مجريها ومرساها إن ربى لغفور رحيم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج مكان من المغرقين » (٢)

---

(١) سورة الأعراف : ٦٥-٧٢

(٢) سورة هود : ٤١-٤٣

* وسيدنا هود عليه السلام ينصح قومه ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ويذكرهم بنعم الله عليهم . . وماحدث لقوم نوح من هلاك حين كذبوا بينهم وعتوا عن أمر ربهم . . ويحذرهم من عاقبة طغيانهم وتكذيبهم . . والعذاب الذى سيحل بهم إذا خالفوا أمره ولم يستجيبوا لدعوته . .

قال تعالى :

« وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان فانتظروا إنى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين » (١)

❀ ❀ ❀

* وسيدنا صالح عليه السلام يعظ قومه . . ويقدم لهم النصيحة الخالصة . . بأن يعبدوا الله وحده . . ومعه معجزة صاحبته وهى « الناقة» التى طلبها قومه للتصديق ويذكرهم بما حدث للسابقين . . ويشرح لهم مصارع الظالمين . . وينذرهم بسوء العاقبة والهلاك . . ولكنهم كذبوه . . واعتدوا على الناقة التى جاءتهم آية من عند الله تدل على صدق صالح فى دعوته . . والتى حذرهم أن يمسوها بسوء فيأخذهم عذاب أليم . . فحل بهم العذاب . . وأخذتهم الرجفة . . وأصبحوا فى دارهم عاجزين لاحركة لهم ولا حوالة . . وتلك هى نهاية الظالمين . .

قال تعالى :

« وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة

---

(١) سورة الاعراف: ٦٥ - ٧٢

من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح أئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » (١)

❁ ❁ ❁

* وسيدنا إبراهيم عليه السلام لما واجه قومه فى بادىء الأمر بالدعوة إلى تفاهة الأصنام التى يعبدونها من الله . . ذهب إلى أقرب الناس إليه لقد توجه إلى أبيه يعظه وينصحه » بلطف فى الخطاب . . ولين فى الموعظة . . وحكمة فى القول . . « يحاول أن يهديه إلى الخير الذى هداه الله إليه . . وعلمه إياه . . وهو يستجيب إليه فيخاطبه« يأأبت » ويسأله : « لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » والأصل فى العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان وأعلم وأقوى، وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنى فكيف يتوجه بها إذن إلى ماهو دون الإنسان . بل إلى ماهو فى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان . . لا يسمع ولا يبصر . ولا يملك ضرا ولا نفعا . . إذ كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام كما هو حال قريش الذين يواجههم الإسلام .

. هذه هى اللمسة الأولى التى يبدأ بها إبراهيم دعوته لأبيه ثم يتبعها بأنه لا يقول هذا من نفسه ، إنما هو العلم الذى جاءه من الله فهداه ، ولو أنه أصغر من أبيه سنا وأقل تجربة . . ولكن المدد العلوى جعله يفقه، ويعرف الحق . . فهو ينصح أباه الذى لم يتلق هذا العلم . ليتبعه فى الطريق الذى هدى إليه . . :

« ياأبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا»

---

(١) سورة الأعراف: ٧٣ - ٧٩

فليست هناك غضاضة فى أن يتبع الوالد ولده . إذا كان الولد على اتصال بمصدر أعلى ، فإنما يتبع ذلك المصدر، ويسير فى الطريق إلى الهدى . .

* وبعد هذا الكشف عما فى عبادة الأصنام من نكارة، وبيان المصدر الذى يستمد منه إبراهيم ويعتمد عليه فى دعوة أبيه. . يبين له أن طريقه هو طريق الشيطان . . وهو يريد أن يهديه إلى طريق الرحمن . فهو يخشى أن يغضب الله فيقضى عليه أن يكون من أتباع الشيطان :

« ياأبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا . ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا»

والشيطان هو الذى يغرى بعبادة الأصنام من دون الله، فالذى يعبدها كأنما يتعبد الشيطان ، والشيطان عاص للرحمن . . وابراهيم يحذر أباه أن يغضب الله عليه فيعاقبه فيجعله وليا للشيطان وتابعا . . فهداية الله إلى الطاعة نعمة لعبده . . وقضاؤه عليه أن يكون من أولياء الشيطان نقمة . . نقمة تقوده إلى عذاب أشد خسارة أفدح يوم يقوم الحساب . .

ولكن هذه الدعوة اللطيفة بأحب الألفاظ وأرقها لا تصل إلى القلب المشرك . . فاذا أبو إبراهيم يقابله بالاستنكار والتهديد والوعيد . . :

« قال : أراغب أنت عن آلهتى ياإبراهيم . .؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا»

أراغب أنت عن آلهتى ياإبراهيم ، وكاره لعبادتها ومعرض عنها . .؟ أو بلغ بك الأمر إلى هذا الحد من الجرأة . .؟ فهذا انذار لك بالموت القطيع إن أنت أصررت على هذا الموقف الشنيع ، فاغرب عن وجهى وابعد عنى طويلا . استبقاء لحياتك إن كنت تريد النجاة. .

* بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى . .ويهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب وذلك شأن الإيمان مع الكفر . . وشأن القلب الذى هذبه الإيمان . والقلب الذى أفسده الكفر. .

ولم يغضب إبراهيم الحليم . ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه :

« قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كـان بي حفيا واعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعوا ربى عـسى أن لا أكون بدعاء ربى شقـيا» وهكذا اعتزل إبراهيم أبـاه وقومه وعبادتهم وآلهتهم وهجر أهله ودياره فلم يتـركه الله وحيدا . بل وهب له ذرية وعوضه خيرا:

« فلما اعتزلهم ومـايعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكـلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا » (١)

❀ ❀ ❀

* وسيدنا شعيب عليه السلام ينصح قـومه . . بالعبادة الخالصة لله وتلك هى دعوة الرسل إلى أقـوامهم . . والمعاملـة الحسنة فى البيـع والشراء وايفاء الكـيل والميزان . . وعدم الإفساد فى الأرض . . ويدعوهم إلى الصلاح والتقوى . . فهذا هو الخير لهم . .

ولكنهم قابلوا نصحه بالتكذيب والطغـيان . . وتطاولوا عليه وعلى من آمن معه . . وتوعدوه بأن يخرجوه من قريتهم . . أو يـعود إلى ملتهم . فأهلكهم الله بذنوبهم ولقد فـصلت لنا سـورة الاعـراف هذا الحوار . . وعـرضت لنا هذا المـشهـد فى قـول الحق سبحانه:

« وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقـوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينه من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسـوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وإن كـان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصـبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتـنا قل أولوكنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ومـا يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شىء علما على الله توكلنا ربنا افتح بـيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير

(١) فى ظلال القرآن - الشيخ سيد قطب - جـ٤ ص : ٢٣١٢

لفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فيكف آس على قوم كافرين»(١)

❁ ❁ ❁

* ومن المواعظ التى وردت عن سيدنا عيسى عليه السلام لقومه :

« ألا أخبركم بخيركم مجالسة . .؟ قالوا : بلى ياروح الله . .

قال : من تذكركم بالله رؤيته . . ويزيد فى عملكم منطقه . . ويشوقكم إلى الجنة عمله »

* ويقول عليه السلام للحواريين :

« ويلكم ياعبيد الدنيا . كيف تخالف فروعكم أصولكم . . وأهواؤكم عقولكم . . قولكم شفاء يبرىء الداء . . وفعلكم داء لا يقبل الدواء . . لستم كالكرمة التى حسن ورقها . وطاب ثمرها . . وسهل مرتقاها . . ولكنكم السمرة التى قل ورقها . . وكثر شركها . . وصعب مرتقاها . .

* ويلكم ياعبيد الدنيا . جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه . وجعلتم الدنيا فوق رؤسكم . . لا يمكن تناولها . . فلا أنتم عبيد نصحاء . . ولا أحرار كرام . .

* ويلكم ياأجراء السوء . . الأجر تأخذون . . والعمل تفسدون . . سوف تلقون ماتحذرون . اذا نظر رب العمل فى عمله الذى أفسدتم . وأجره الذى أخذتم . .»

* ويقول عليه السلام:

« عجبا لكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بلا عمل . . ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل »

❁ ❁ ❁

(١) سورة الاعراف: ٨٥ - ٩٣

مواعظ النبى صلى الله عليه وسلم..

* من المواعظ الخالدة العظيمة التى سجلتها لنا كتب السنة والتاريخ للنبى صلى الله عليه وسلم مايرويه لنا أبو هريرة رضى الله عنه .. عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال:

« اجتنبوا السبع الموبقات .. قالوا : وماهن ..؟

قال : الشرك بالله .. والسحر .. وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق .. وأكل الربا .. وأكل مال اليتيم .. والتولى يوم الزحف .. وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(١)

* وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والناس حوله :

« أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء فقال رجل : يارسول الله إنا لنستحى من الله تعالى ..

فقال : من كان منكم مستحيا فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه وليحفظ البطن وماوعى .. والرأس وماحوى .. وليذكر الموت والبلى .. وليترك زينة الدنيا » (٢)

❁ ❁ ❁

* ومن مواعظه عليه السلام. موعظته لعبد الله بن عمر رضى الله عنه حيث يقول: « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب .. أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أصحاب القبور .. وقال لى يا ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء .. وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح .. وخذ من صحتك قبل سقمك ، ومن حياتك قبل موتك .. فإنك لاتدرى يعبد الله ماأسمك غدا.(٣)

* ويعظ صلى الله عليه وسلم رجلا فيقول له :

---

(١) رواه البخارى وسملم وأبو داود والنسائى..

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه البيهقي والترمذي

« اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك . . وصحتك قبل سقمك . . وغناك قبل فقرك . . وفراغك قبل شغلك . . وحياتك قبل موتك » (١)

*وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله : ماكانت صحف إبراهيم . . ؟

قال: كانت أمثالا كلها . . أيها الملك المسلط المتبلى المعزور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فإنى لا أردها ، وإن كانت من كافر . . وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات . . فسساعة يناحى فيها ربه . . وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل . . وساعة يخلو فيها لحاجة من المطعم والمشرب . .

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث : تزود لمعاد . . أو مرمة لمعاش . . أو لذة فى غير محرم . .

وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه . . مقبلا على شأنه . . حافظا للسانه . . ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . .

* قلت : فما كانت صحف موسى عليه السلام . . ؟

قال : كانت عبرا كلها . . عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح . . وعجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك . . وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب . . وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم أطمأن إليها . . وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل (٢)

❀ ❀ ❀

*** مواعظ الصحابة . .**

*** من مواعظ عمر بن الخطاب رضى الله عنه :**

« إنه وعظ رجلا فقال : لا تلهك الناس عن نفسك فإن الأمر يصير إليك دونهم . . ولا تقطع النهار ساربا فإنه محفوظ عليك ماعملت وإذا أسات فأحسن . فإنى لا أرى شيئا أشد طلبا ، ولا أسرع دركة من حسنة حديثة لذنب قديم»

(١) رواه الحاكم وقال صحيح علي شرط اللشيخين

(٢) أخرجه ابن حيان في صحيحه واللفظ له وصحة الحاكم . .

* وعن سعيد بن المسيب قال:

« وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه للناس ثمانى عشرة كلمة .. حكم كلها .. قال : ماعاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .. وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجئيك منه مايغلبك .. ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا .. ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن .. ومن كتم سره كان الخيارّ فى يده .. وعليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء .. وعليك بالصدق وإن قتلك .. ولا تعرض فيما لا يعنى .. ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شاغلا عما لم يكن .. ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك .. ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله .. ولا تصحب الفجار لتتعلم من فجورهم .. واعتزل عدوك

واخذر صديقك إلا الأمين .. ولا أمين إلا من خشى الله .. وتخشع عند القبور .. وذل عند الطاعة .. واستعصم عند المعصية .. واستشر فى أمرك الذين يخشون الله ، فإن الله تعالى يقول : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »

*** ويعظ رضى الله عنه الأحنف بن قيس فيقول له :**

« ياأحنف .. من كثر ضحكه قلت هيبته .. ومن فرح استخف به .. ومن كثر كلامه كثر سقطه .. ومن كثر سقطه قل حياؤه .. ومن قل حياؤه قل ورعه .. ومن قل ورعه مات قلبه »

*** وكتب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى :**

« إن الحكمة ليست عن كبر السن ، ولكنه عطاء الله يعطيه من يشاء .. فإياك ودناءة الأمور ، ومذاق الأخلاق »

❁ ❁ ❁

* ومن مواعظ عثمان رضي الله عنه :

* يقول رضى الله عنه .. وهو يخطب المسلمين :

« أيها الناس.. اتقوا الله . فإن تقوى الله غنم .. وإن اكيس الناس من دان

نفسه.. وعمل لما بعد الموت .. واكتسب من نور الله نورا لقبره .. وليخشى عبد أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيرا»

*** ومن مواعظه للناس :**

« إن الله أعطاكم الدنيا .. لتطلبوا بها الآخرة .. ولم يعطكموها لتركنوا إليها .. إن الدنيا تفنى ، وإن الآخرة تبقى فآثروا مايبقى على مايفنى ..

إن الدنيا منقطعة ، والمصير إلى الله وحده»

*** ومن مواعظه رضى الله عنه للناس:**

« إبن آدم . .اعلم أن ملك الموت الذى وكل بك لم يزل يخلفك ، ويتخطى إلى غيرك منذ أنت فى الندنيا .. وكأنه قد تخطى غيرك إليك وقصدك .. فخذ حذرك .. واستعد له .. ولا تغفل فإنه لا يغفل عنك .. واعلم ياابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها لم يستعد لها غيرك .. ولا بد من لقاء الله. فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك .. »

*** ومن مواعظه رضى الله عنه :**

« أيها الناس .. اتقوا الله .. فإن الدنيا كما قال الله عنها لعب ولهو وزينة وتفاخر .. فخير العباد فيها من عصم واستعصم بالله وكتابه .. وقد وكلت من أمركم بعظيم .. لا أرجوا العون عليه إلا من الله .. ولا يوفق للخير إلا هو « وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

*** ومن مواعظه رضى الله عنه :**

« أيها الناس .. إنكم فى دار قلعة .. وفى بقية أعمار . فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم . أصبحتم أو أمسيتم .. ألاوإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . واعتبروا بمن مضى .. ثم جدوا ولا تغفلوا . فإنه لا يغفل عنكم ..

أين أبناء الدنيا واخوانها الذين آثاروها ومتعوا بها طويلا . ألم تلفظهم .. ؟

أرموا بالدنيـا حيث رمى الله وأطلبو الآخرة فـإن الله قد ضرب لها مـثلا والذى هو خير فقال عز وجل :

« واضرب لهم مـثل الحيـاة الدنيا كمـاء أنزلناه من السمـاء فاختـلط به نبات الأرض فأصبح هشـيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شىء مقتـدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصحالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا»

❁ ❁ ❁

*** مواعظ الإمام على كرم الله وجهه :**

. من المواعظ البليغة الحكيمة الرشيدة للإمام على كرم الله وجهه وأرضاه :

« إن المضمـار اليوم . . وغدا السبـاق . . ألا وإنكم فى أيام أمل . . من ورائه أجل . . فمن قصّر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله . .

ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة . .

الا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها . . ولم أر كالنار نام هاربها . .

ألا وإن من لم ينفعه الحق . . ضره الباطل . .

ومن لم يستقم به الهدى . . حاد به الضلال . .

ألا وإن الدنيا عرض حاضر . يأكل منها البر والفاجر . .

وإن الآخرة وعد صادق . . يحكم فيها ملك قادر . .

وإن أخوف ماأخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . .

فإن اتباع الهوى يصد عن الحق . . وإن طول الأمل ينسى الآخرة »

❁ ❁ ❁

*** ومن مواعظه رضى الله عنه :**

«أوصيكم عبـاد الله بتقوى الله ، فإن تقـوى الله خير ماتواصي به عـباده ، وأقرب الأعـمـال لرضوانه ، وأفـضلهـا فى عـواقب الأمـور عنده . . وبتـقـوى الله أمْـرتم

وللإحسان خلقتم . .

فاحذروا من الله ماحذركم من نفسه . فإنه حذر بأساً شديدا . . واخشوا الله خشية ليست بتعذير ، واعملوا من غير رياء ولا سمعة . . فإن من عمل لغير الله وكله الله إلى ماعمل ، ومن عمل مخلصا له تولاه الله ، واعطاه فضل نيته . . وأشفقوا من عذاب الله ، فإنه لم يخلقكم عبثا ولم يتركم سدى . . وقد سمى آثاركم . . وعلم أسراركم . . وأحصى أعمالكم ، وكتب آجالكم فلا تغرنكم الدنيا . فإنها غرارة لأهلها،والمغرور من أغتربها ، وإن الأخرة لهى دار القرار»

❀ ❀ ❀

* ويرى لنا ابن عباس رضى الله عنهما فيقول : قال عمر لعلى رضى الله عنهما :

« عظنى يا أبا الحسن . . ؟ قال : لا تجعل يقينك شكا . . ولا علمك جهلا . . ولا ظنك حقا . . واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ماأعطيت فأمضيت. . وقسمت فسويت . . ولبست فأبليت . . قال : صدقت ياأبا الحسن »

* وروى عنه رضى الله عنه أنه وعظ عمر فقال له :

« ياأمير المؤمنين إن سرك أن تلحق بصاحبيك . فأقصر الأمل . . وكل دون الشبع . . وأقصر الإزار . . وارقع القميص . . وأخصف النعل . . تلحق بهما»

* وروى أنه لما ضرب ابن ملجم علياً رضى الله عنه دخل عليه الحسن رضى الله عنه وهو باك فقال له : مايبكيك يابنى . . ؟

قال: مالى لا أبكى وأنت فى أول يوم من الآخرة ، وآخر يوم من الدنيا. .

فقال : يابنى . . احفظ عنى أربعا وأربعا . لا يضرك ماعملت معهن . .

قال : وماهن ياأبت . . ؟

قال : إن أغنى الغنى العقل . . وأكبر الفقر الحمق . . وأوحش الوحشة الغجب . . وأكرم الكرم حسن الخلق. .

قال : قلت . . ياأبت . هذه الأربع فأعلمنى الأربع الأخرى . .

قال : وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك . . وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب . . وإياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أحوج ماتكون إليه . . وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه »

*** ويعظ المسلمين فيقول رضى الله عنه:**

« تعلموا العلم تعرفوا به . . واعملوا به تكونوا من أهله . . ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد أتت مقبلة . . ولكل واحد ة منهما بنون . . فكونوا من أبناء الآخرة . . ولا تكونوا من أبناء الدنيا . .

ألا وإن الزاهدين فى الدينا قد اتخذوا الأرض بساطا . .والتراب فراشا . . والماء طيبا . .

ألا وإن من اشتاق إلى الآخرة . سلا عن الشهوات»

ومن أشفق من النار . . رجع عن المحرمات»

ومن طلب الجنة . . سارع إلى الطاعات»

ومن زهد فى الدنيا . . هانت عليه مصائبها »

❁ ❁ ❁

مواعظ أبي الدرداء رضي الله عنه ..

. كان أبو الدرداء رجلا حكيما سجل له التاريخ كثيرا من مواعظه ومنها :

« أيها الناس . . ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند باريكم . . وأنماها فى رجاتكم . . وخير من أن تغزو عدوكم . . فتضربوا رقابهم . . ويضربوا رقابكم . . وخير من الدراهم والدنانير . .

قالوا : أى شىء هو ياأبا الدرداء . .؟

قال : ذكر الله ، ولذكر الله أكبر »

***ويكتب لصديق له فيقول :**

« أما بعد . فلست فى شىء من عرض الدنيا . إلا وقد كان لغيرك قبلك . . وهو صائر لغيرك بعدك . . وليس لك منه إلا ماقدمت لنفسك . . فآثرها على من تجمع له المال من ولدك ليكون له إرثا . . فأنت إنما تجمع لواحد من اثنين : إما ولد عاص يعمل فيه بمعصية الله . فتشقى بما جمعت له . .

وإما ولد صالح يعمل فيه بطاعة الله . . فيسعد بما شقيت به . .

– فثق لهم بما عند الله من رزق ، وانج بنفسك »

*** وكان يقول رضى الله عنه :**

« معاتبة الأخ خير لك من فقده . . ومن لك بأخيك كله . . ؟

اعطِ أخاك ولن له . . ولا تطع فيه حاسدا فتكون مثله . .

غدا يأتيك الموت فيكفيك فقده . . وكيف تبكيه بعد الموت . . وفى الحياة ماكنت أديت حقه »

*** ومن مواعظه رضى الله عنه :**

« ذروة الإيمان الصبر للحكم . . والرضاء بالقدر . . والاخلاص فى التوكل . . والاستسلام للحرب»

***وروى عنه رضى الله عنه أنه كان يقول :**

« أضحكنى ثلاث . . وأبكانى ثلاث :

– أضحكنى . . مؤمل الدنيا والموت يطلبه . . وغافل وليس بمغفول عنه . . وضاحك بملء فيه ولا يدرى أراض الله عنه أم ساخط عليه . .

– وأبكانى . . فراق الأحبة محمد وصحبه . . وهول المطلع . . والوقوف بين يدى الله يوم تبدو السرائر . . ثم لا أدرى إلى الجنة . . أو إلى النار»

*** وكان يقول رضى الله عنه:**

« ليس الخير أن يكثر مالك وولدك . . ولكن الخير أن يعظم حلمك . . ويكثر

علمك . . وأن تبارى الناس فى عبادة الله عز وجل . فإن أحسنت حمدت الله تعالى . . وإن أسأت استغفرت الله عز وجل »

* **ويعظ أهل دمشق فيقول :**

« يامعشر أهل دمشق . . ألا تستحيون . .؟ تجمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون . . وتأملون مالا تبلغون . . قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون. . ويأملون فيطيلون . . ويبنون فيوثقون . . فأصبح جمعهم بورا . . وأملهم غرورا . . وبيوتهم قبورا . . هذه عاد قد ملأت مابين عدن إلى عمان أموالا وأولادا . . فمن يشترى منى تركه آل عاد بدرهمين »

***وكتب إلى مسلمة بن مخلد فقال له :**

« أما بعد فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله . . فإذا أحبه الله حببه إلى خلقه. . وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله . . وإذا أبغضه الله بغضه الله إلى خلقه »

***ومن مواعظه رضى الله عنه :**

« التمسوا الخير دهركم كله . . وتعرضوا لنفحات رحمة الله . . فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده . . وسلوا الله أن يستر عوراتكم . . ويؤمن روعاتكم »

* وكان يقول رضى الله عنه:

« ثلاث من ملاك أمر ابن آدم : لا تشك مصيبتك . . ولا تحدث بوجعك . . ولا ؛ نفسك بلسانك »

❀ ❀ ❀

مواعظ معاذ بن جبل رضي الله عنه

. معاذ بن جبل من أولئك الأبرار الذين رزقهم الله العلم والحكمة والفقة . . وقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« أعلم أمتى بالحلال والحرام . معاذ بن جبل»

وقال عنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لولا معاذ بن جبل لهلك عمر»

. وقد سجل له التاريخ الكثير من المواعظ والحكم منها:

- موعظته لابنه والتى يقول له فيها:

« يابنى . إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع .. لا تظن أنك تعود إليها أبدا .. واعلم يابنى أن المؤمن يموت بين حسنتين : حسنة قدمها .. وحسنة أخرها»

*** ويعظ رجلا فيقول له :**

« إنى موصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت : إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر .. فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى تنتظمه لك انتظاما فتزول به معك أينما زلت »

*** وكان يقول رضى الله عنه :**

« ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت : الضحك من غير عجب .. والنوم فى غير سهر .. والأكل من غير جوع»

❁ ❁ ❁

* مواعظ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

. من مواعظه رضى الله عنه:

« لا يصيب عبد شيئا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريما»

. وكان يقول رضى الله عنه:

« لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعد الناس حمقى فى دينه »

❁ ❁ ❁

* مواعظ أبي بن كعب رضي الله عنه:

. من مواعظه رضى الله عنه:

« المؤمن بين أربع : إن ابتلى صبر .. وإن أعطى شكر .. وإن قال صدق .. وإن

حكم عدل . .

فهو يتقلب فى خمسة من النور - وهو الذى يقول الله « نور على نور» : كلامه نور . . وعلمه نور . . ومدخله فى نور . . ومخرجه من نور . . ومصيره إلى النور يوم القيامة . .

والكافر يتقلب فى خمسة من الظلم : فكلامه ظلمة . . وعمله ظلمة . . ومدخله ظلمه . . ومخرجه فى ظلمة . . ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة »

. ويعظ رجلا فيقول له :

« لا تعرضن فيما لا يعنيك . . واعتزل عدوك . . واحترز من صديقك . . ولا تغبطن حيا إلا ماتغبطه به ميتا . . ولا تطلب حاجة إلى من لا يبالى أن لايقضيها لك»

❁ ❁ ❁

* مواعظ أبي ذر رضي الله عنه :

. من مواعظه رضى الله عنه:

« ياأيها الناس. إنى لكم ناصح . . إنى عليكم شفيق . . صلوا فى ظلمة الليل . . لوحشة القبور . . صوموا فى الدنيا لحر يوم النشور . . تصدقوا مخافة يوم عسير»

*** وكان يقول رضى الله عنه :**

« تلدون للموت . . وتعمرون للخراب . . وتحرصون على ما يفنى . . وتذرون مايبقى . . ألا حسن المكروهات : الموت . . والمرض . . والفقر»

❁ ❁ ❁

*مواعظ الصالحين ..

. يقول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

« إن لكل سفر زاد ا لا محالة . . فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة . . وكونوا كمن عاين ما اعد الله من ثوابه وعقابه ترغبون وترهبون . . ولا يطولن عليكم الأمد

فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم . .

فإنه والله . . مابسط أمل من لا يدرى . . لعله لا يصبح بعد مسائه . ولا يمس بعد صباحه . . وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا . . فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغترا . . وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة . . فأما من لا يبرأ من كلم إلا أصابه جرح من ناحية أخرى . .

أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه - فتخسر صفقتى . . وتظهر عيلتى . . وتبدو مسكنتى . . فى يوم يبدو فيه الغنى والفقير . . والموازين منصوبة . . لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت . . ولو عنيت به الجبال لذابت . . ولو عنيت به الأرض لتشققت . .

أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرون إلى احداهما »

*** ويكتب يوما إلى أحد عماله فيقول:**

« أمابعد . . فكأن العباد قد عادوا إلى الله . . ثم ينبئهم بما عملوا ليجزى الذين اساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . . فإنه لا معقب لحكمه ولا منازع لأمره . .

وإنى أوصيك بتقوى الله . . وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمة وأتاك من كرامته . . فإن نعمة يمدها شكره . . ويقطعها كفره . . وأكثر ذكر الموت الذى لاتدرى متى يغشاك . . فلا مناص ولا فوت . . وأكثر ذكر يوم القيامة وشدته . .

فإن ذلك يدعوك إلى الزهد فيما رغبت فيه . . والرغبة فيما زهدت فيه . . ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل . . فإن من لا يحذر ذلك . . ولا يتخوفه توشك الصرعة أن تدركه فى الغفلة . . وأكثر النظر فى عملك فى دنياك بالذى أمرت به . . ثم اقتصر عليه . فإن فيه لعمرى شغلا عن دنياك . . ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل . . ولا الحق حتى تذر الباطل »

❁ ❁ ❁

* قال عمرو بن عتبة يعظ ابنه .. لما بلغ الخامسة عشرة من عمره:

« يابنى .. لقد تـقطعت عنك شرائع الصبـا .. فالزم الحيـاء تكن من أهله .. ولا تزايله فتبين منه .. ولا يغـرنك من اغتر بك بالله فيك . فمـدحك بما تعلم خلافه من نفسك .. فإنه من قـال فيك من الخير مالم يعلم إذا رضى .. قال فـيك من الشر مثله إذا سخط فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من غب عواقبهم ..

❁ ❁ ❁

* ودخل أحد الصالحين على « المنصـور» - وكان شديد الهيبـة - فقال له : عظنى .. فقـال : اعلم ياأميـر المؤمنين أن الله هو الحق المبين .. ومن كـره الحق فقـد كرهه الله..

ياأمير المؤمنين .. إن الملك لا يدوم لمخلـوق .. وإنما الملك لله وحده ولو كان يدوم لأحد لما وصل إليك ..

ياأمير المؤمنين .. إن رسـول الله صلى الله عليه وسلم دعا للقصـاص من نفسه فى خدش خـدشه أعرابـيا وهو غيـر متعـمد .. فـقال الإعرابى : بأبى وأمى قـد أحللتك وماكنت لأفعل ذلك بك أبدا..

ياأمير المؤمنين : إن خير الكرم عند الله التقوى .. ومن طلب العزة بطاعة الله رفعه وأعزه .. ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله وأذله ..

* فلما انتهى من عظته أمر له « المنصـور» بمال .. فاعتذر الرجل ولم يقبله وقال : ير المؤمنين : ماكنت لأبيع نصـيحتى بعرض الدنيا فأحرم ثوابهـا .. وأقلل من نفعها ومادام أمير المؤمنين قائما فينا بالعدل - فنحن فى خير الله .. ثم فى خيره »

❁ ❁ ❁

* وقال بعض الصالحين في موعظة له:

« مسكين ابن آدم لو خـاف من النار كما يخاف مـن الفقر لنجامنهـما جميـعا. . ولو

رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعا..

ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا»

❁ ❁ ❁

* وقال أحد الصالحين :

« أقلوا الكلام إلا بتسع : تكبير وتهليل وتحميد وسؤالك للخير .. وتعوذك من الشر .. وأمرك بالمعروف .. ونهيك عن المنكر .. وقراءة القرآن .. وأن لا يراك حيث نهاك .. ولا يفقدك حيث أمرك »

❁ ❁ ❁

* ودخل ابن المسماك يوما على هارون الرشيد فوجده يرفع الماء إلى فمه ليشرب فقال : ناشدتك الله ياأمير المؤمنين أن تنتظر به قليلا .. فلما وضع الماء قال له : أستحلفك بالله تعالى لو أنك منعت هذه الشربة من الماء فبكم كنت تشتريها .. ؟ قال : بنصف ملكى ..

قال : أشرب هنأك الله .. فلما شرب قال : أستحلفك بالله تعالى لو أنك منعت خروجها من جوفك بعد هذا فبكم كنت تشتريها .. ؟

قال : بملكى كله ..

فقال : ياأمير المؤمنين إن ملكاً تربو عليه شربة ماء لخليق أن لا ينافس فيه .. فبكى هارون الرشيد حتى ابتلت لحيته..»

❁ ❁ ❁

* قيل للإمام الشافعى رضى الله عنه : كيف أصبحت ..؟

قال : أصبحت تطلبنى ثمانية :

الله تعالى بالفرض .. ورسول الله بالسنة .. والدهر بصروفه .. والعيال بقوتهم

.. والحفظة بما ينطق لسانى .. والشيطان بالمعاصى . والنفس بالشهوات .. وملك الموت بقبض روحى »

❁ ❁ ❁

*** وقال عبد الملك بن مروان لبنيه :**

« كفوا الأذى .. وابذلوا المعروف .. واعفوا إذا قدرتم .. ولا تبخلوا إذا سئلتم .. ولا تلحفوا إذا سألتم .. فإنه من ضيق ضيق عليه .. ومن أعطى أخلف الله عليه»

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

** في رحاب الوصية **

- ماهى الوصية..؟
- الوصية في القرآن..
- ألوان من الوصية..
- وصايا لقمان الحكيم..
- وصايا النبى عليه السلام
- وصايا الخلفاء والصالحين..

*الوصية فى القرآن ..

الوصية : هى خلاصـة تجارب الإنسان يعـهد بها إلى من أحب من البـشر . . وهى العهـد بالشيء . . والأمر به . . وفعله فى المسـتقبل كان خـيرا وتركه والبعـدعنه إن كان شراً . .

وقد جاءت الوصية في القرآن الكريم عن نوعين :

*** وصية من الله للإنسان**

*** ووصية من الإنسان للإنسان**

*** فوصية الله للإنسان وردت فى القرآن بمعان متعددة منها:**

١- وصية الله للإنسان بالدين

قال تعالى :

«شرع لكم من الـدين ما وصى به نوحا والذى أوحـينا إليك وما وصـينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقـوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب (١)

٢- وصية الله للإنسان بالصلاة والزكاة ..

قال تعالى :

«قال انى عـبدالله آتانى الكتـاب وجعلني نبيـا وجعلنى مبـاركا أينمـا كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا (٢)

٣- وصية الله للإنسان بالتقوي

قال تعالى :

« ولقد وصينـا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا اللـه وإن تكفروا فإن

---

(١) سورة الشورى : ١٣

(٢) سورة مريم : ٣٠ -٣١

لله ما فى السماوات وما فى الأرض وكان الله غنيا حميدا (١)

٤- وصية الله للإنسان بالإحسان إلي الوالدين

قال تعالى:

«ووصينا اللإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون» (٢)

وقال تعالى :

«ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالويك إلىّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون» (٣)

وقال تعالى

«ووصينا اللإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها وضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلحلن فى ذريتى إنى تبت إليك وانى من المسلمين»(٤)

٥- وصية الله للإنسان بالحق والصبر والمرحمة..

قال تعالى:

« ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة» (٥)

وقال تعالى:

«والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق

---

(١) سورة النساء : ١٣١

(٢) سورة العنكبوت : ٨

(٣) سورة لقمان : ١٤-١٥

(٤) سورة الأحقاف : ١٥

(٥) سورة البد : ١٧

وتواصوا بالصبر» (١).

٦- وصية الله للإنسان بالعدل في الميراث

قال تعالى:

«كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين»(٢)

وقال تعالى:

« يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبوية لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أودين أباؤكم وابناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما»(٣)

٧- الوصية من الله للإنسان.. بالإيمان بالله ربا واحدا رازقا قادرا لاشريك له وأنه وحدة المخصوص بالعبادة والطاعة والخضوع.. وبيده ملكوت السماوات والارض ووصيته سبحانه للإنسان بالإحسان إلى الوالدين.. وعدم قتل الأولاد خشية الفقر..

واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن كالسرقة والنميمة وشهادة الزور.. والحفاظ على الأنفس.. وعدم قتل النفس التى حرم الله قتلها بأن عصمها بالإسلام إلا بالحق الذى يبيح قتلها شرعا كردة وقصاص أوزنا يوجب الرجم..

والحفاظ على مال اليتيم الذى فقد الأب الحانى.. والنهى عن التعرض لهذا المال..

وايفاء الكيل والميزان.. والعدالة فى القول والفعل والعمل والحكم بين الناس..

والوفاء بالعهد.. واتباع الصراط المستقيم السوى الواضح وهو سبيل الله.. وترك

(١) سورة العصر : ١-٣

(٢) سورة البقرة : ١٨٠

(٣) سورة النساء: ١١

اتباع السبل.. وهى الأديان الباطلة. والبدع والضلالات الفاسدة..

قال تعالى:

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا و بالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوالفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتهم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» (١)

* أما وصية الإنسان للإنسان: فجاءت في القرآن علي نوعين:

١- وصية من الإنسان للإنسان بالدين

قال تعالى:

«ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم,وإسماعيل واسحاق إلهاً واحدا ونحن له مسلمون»(٢)

٢- وصية من الإنسان للإنسان بالميراث

قال تعالى:

«ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصيه يوصين بها أودين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أودين وإن كان رجل يورث كلالة أوامرأة وله أخ أواخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك

(١) سورة الأنعام : ٥١-٥٣

(٢) سورة البقرة : ١٣٢ - ١٣٣

فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بهـا أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم» (١)

وقال تعالى:

« يا يها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر آحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم» (٢)

ويقول صلى الله عليه وسلم:

« ما حق امـرئ مسلم يبيت ليلتين وله شئ يريد أن يوصى فـيه إلا ووصيتـه مكتوبه عند رأسه»

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النساء : ١٢

(٢) سورة المائدة: ١٠٦

** ألوان من الوصية **

* وصايا لقمان الحكيم..

* من الوصايا العظيمة التى وردت في القرآن الكريم «و صايا لقمان الحكيم لابنه» وقد سجلها الله عزوجل فى سورة تحمل اسمه تكريما له وتشريفاله من الله

قال تعالى:

وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهماوصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أنا ب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يابنى إنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور. ولا تصعر خدك للناس ولاتمشى في الارض مرحا ان الله لايجب كل مختال فخور واقصد فى مشبك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير» (١)

❁ ❁ ❁

* ومن وصايا لقمان الحكيم التى وردت فى غير القرآن والتى وردت في كتب التراث والأدب:

* يابنى : إن الحكمة أجسلت المساكين مجالس الملوك

* يابنى : جالس العلماء بركبتيك.. فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء»

يابنى : إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بالسلام ثم اجلس ولاتنطلق حتى تراهم قد نطقوا.. فإن فاضوا فى ذكر الله فاجلس معهم. وإن فآضوا فى غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم..»

---

(١) سورة لقمان: ١٢ - ١٩

* يابنى : إن من الكلام ما هو اشد من الحجر. . وأمرُّ من الصبر. . وأحر من الجمر وإن القلوب مزارع فازرع فيها طيب الكلام. . فإن لم ينبت كله نبت بعضه. . »

* يابنى : كن على حـذر من اللئـيم إذا اكرمـته. . ومن الكريم إذا أهنتـه. . ومن الفاجر إذا خاصمته. . »

* يابنى : لا تضحك من غـير عجب. . ولا تمشى فى غيـر إرب. . ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك. . فإن ملك ما قدمت. . ومال غيرك ما تركت. . »

* يابنى : لا تركن إلى الدنيا ولاتشغل قلبك بها فإنك لم تخلق لها. . وما خلق الله خلقا أهون عليه من الدنيا. . فإنه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين. . ولا بلاؤها عقوبة للعاصين. . »

* يابنى : ثلاثة لاتعرفها ألا عند ثلاثة:

لا تعرف الحليم إلا عند الغضب. .

ولا الشجاع إلا عند الحرب

ولا أخاك إلا إذا احتجت إليه. .

* يابنى : إنه من يرحم يرحـم. . ومن يصمت يسلم. . ومن يـقل الخيـر يغنم ومن يقل الباطل يأثم. . ومن لايملك لسانه يندم. . »

* يابنى : إن الدنيـا بحر عريض قـد هلك فيـه الأولين والآخرين. . فإن اسـتطعت فاجعل سفينتك تقوى الله. . وعدتك التوكل على الله. . وزادك العمل الصالح. . فإن نجوت فبرحمة الله. . وإن هلكت فبذنوبك»

* يابنى : لقد أكلت الحنظل« . . وذقت الصبر. . ولكننى لم أجد مرارة فى فمى أشد من مرارة الفقر. .

فإذا افـتقـرت فلا تحدث بـه الناس كى لا ينتقـصوك. . فمن ذ الذى سـأل الله ولـم يعطه. . ومن الذى دعا الله ولم يجبه. . ومن الذى تاب إلى الله ولم يقبله. . »

* يابنى : استعذ بالله من شرار الناس. . وكن من خيارهم على حذر. . »

* يابنى : كن عبداً للأخيار . . ولا تكن خليلا للأشرار . . »

* يابنى: لا تأمر الناس باليسر وتنس نفسك . . فيكون مثلك مثل السراج الذى يضئ للناس ويحرق نفسه . .

* يابنى: للحاسد ثلاث علامات:

يغتاب صاحبه إذا غاب . . ويتملقه إذا شهده . . ويشمت فيه عند المصيبه . . »

* يابنى اجعل معروفك في أهلك . . ولا تضعه فى غير أهله . . فتخسره فى الدنيا . . وتحرم ثوابه في الآخرة . .

* يابنى كن مقتصداً ولا تكن مبذرا . . ولاتمسك المال تقتيرا . . ولاتعطه تبذيراً . . »

* يابنى: خداع القلوب يظهر من كلمة على اللسان . أو نظرة فى العين . . »

* يابنى: إيـاك والكذب . . فـإنـه يفـسـد عليك دينك . . ويمحـو عليك عـندالناس مروءتـك . . ويضع منزلتك . . ويضيع جـاهك . . فلا يسـمع أحد منك إذا حـدثت . . ولايصدقك إذا قلت . . ولاخيرلك فى الحـياة إذا كنت كذلك وإذا طلع الناس على ذلك فى أمرك ثم صـدقت اتهمـوك وحقروا شـأنك . . وأبغضـوا مجلسك . . وأخـفوا عنك اسرارهم . . وختموا حديثـهم وكتموه . . وحذروك في أمردينهم . . ولا يأمنوك في شئ من أحوالهم . . وهذه حالتك في قلوب الناس . . وأكبر من ذلك مقت الله . وعقوبته فى الآخرة . . »

* يابنـى: لا كنز أنفع من الـعلم . . ولاشئ أربح مـن الأدب . ولا قـريـن أزين من العقل . . ولا غائـب أقرب من الموت . . ولاشئ أنفع من الصدق . ولاسيـئة أسوأ من الكذب . . ولا عبادة افضل من الصمت . . ولا عارا اقبح من البخل . . »

* يابنى: كن أمينا تكن غنيا . . »

يابنى : إن العـالم الحكيم يدعـو الناس إلى علـمه بالصـمت والوقـار . وإن العـالم الأحمق يطرد الناس عن عمله بسقط الكلام والاكثار منه . . »

* من وصايا النبي عليه السلام:

* يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه:

«أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات.. فقال:

«لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت.. ولا تعق و الديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك.. ولاتتركن صلاة مكتوبة متعمدا. فإن من ترك صلاة مكتوبة فقد برئت منه ذمةالله.. ولا تشربن خمرا فإنه رأس كل فاحشه.. وإياك والمعصية فإن بالمعصية يحل سخط الله.. وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس.. وإذا اصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت.. وأنفق على عيالك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدباً.. وأخفهم فى الله..»

❁ ❁ ❁

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال:

«جاء رجل إلى البنى صلى الله عليه وسلم وقال: يارسول الله. أوصنى وأوجز..؟

قال صلى الله عليه وسلم: عليك باليأس مما فى ايدى الناس فإنه الغنى.. وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر.. وصل صلاتك وأنت مودع.. وإياك وما يعتذر منه»

❁ ❁ ❁

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا.. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور. وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا..»

❁ ❁ ❁

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلي الله عليه وسلم قال:

«من كـان يؤمن بالله واليوم الآخـر فليكرم ضـيفـه . . ومن كان يؤمن بالله واليـوم الآخر فليصل رحمه . . ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرا أو ليصمت»

* وعن أبى ذر رضى اللـه عنه قـال: قلت: يارســول الله فـمـا كـانت صـحف موسى . . ؟

قال: كـانت عبر اكلها . . عـجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح . . عـجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك . . عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب . . عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب . . عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم أطمأن إليها . . عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل . .

* قلت : يارسول الله وصخنى . . ؟

قال : أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله

قلت : يارسول الله زدنى . . ؟

قـال : عليك بتلاوة القـرآن وذكر الـلهلله فإنه نور لك فى الارض. وذكـر لك في السماء.

قلت : يارسول الله زدنى

قال : إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه . .

قلت: يارسول لله زدنى . . ؟

قال : عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتى . .

قلت: ياسول الله زدنى . . ؟

قال :احب المساكين وجالسهم

قلت : يارسول الله زدنى . . ؟

قـال : انظر إلى من هو تحـتك . . ولا تنظر إلى من هو فـوقك . . فـإنه أجـدرن لا تزدرى نعمة الله عندك . .

قلت: يارسول الله زدنى . . ؟

قال : قل الحق ولو كان مرا. .

قلت: يارسول الله زدني. .؟

قال : ليـردك عن الناس ما تعلمه مـن نفسك ولا تجد عليـهم فيمـا تأتى وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك. . وتجد عليهم فيما تأتى. .

قال : ثم ضرب رسول لله بيده علي صررى فقال:

يا أباذر. . لا عقل كالتدبير. . ولاورع كالكف. . ولاحسب كحسن الخلق»

❁ ❁ ❁

* من وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

* ذكر أبو نعيم فى الحلية. . عن عبدالرحمن بن سابط. . وزيد بن الحارث ومجاهد رضى الله عنهم. . قالوا:

لما حضر أبا بكر الموت دعا عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقال له:

«اتق الله ياعمر. . واعلم ان لك عملا بالنهار لايقبله بالليل. . وعملا بالليل لايقبله بالنهار. .وأنه لايقبل نافله حتى تؤدى الفـريضة. . وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيـامة باتباعهم الحق في درار الدنيـا وثقلة عليهم. . وحق لميزان يوضع فـيه الحق غدا أن يكون ثقيلا. . وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفتـه عليهم . . وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خـفيفا. . وان الله تعالى ذكـر اهل الجنة فذكـرهم بأحسن أعمـالهم وتجاوز عن سـيئه. . فـإذا ذكرتهم قلت: إنى اخاف أن اكـون مع هؤلاء. . وذكر اية الرحمـة وأية العذاب فيكون العـيد راغبا راهبا. . ولايتمنى على الله غير الحق ولا تفيط من رحمته. . ولا يلقى بيديه إلى الهلكه. .

فـإن انت خفظت وصـيتى فـلايك غائـب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن أنت ضيعت وصيتى فلايك غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه».

❁ ❁ ❁

وأوصي رضي الله عنه «عمرو بن العاص» فقال له:

«يا عمرو. اتق الله في سـرائرك وعلانتيك واستحيه فـإنه يراك ويرى عملك.. وقد رأيت تقـديمي إياك على من هم أقدم سـابقـة منك. ومن كان اعظم غنى عن الإسـلام واهله منك.. فـكن من عـمـال الآخـرة. وأرد بما تعـمل وجـه الـله.. وكن والدالمن معك.. ولا تكشـفن الناس عن استارهم. واكتف بعـلانيتهم وكن مجـدا في أمرك.. واصدق الـلقاء إذا لقـيت ولاتجبن.. وتقدم في الغلول..وعـاقب علي.. وإذ وعظت اصحابك فأوجز.. وأصلح نفسك تصلحلك رعيتك..»

❁ ❁ ❁

من وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

* اخرج الامام النسائى وابن حبان والبيهقى عن عمر رضى الله عنه انه قال:

أوصى «الخليـفة بـعدى بالمهـاجـرين الأولين أن يعلم لهم حـقهم.. ويـحتـفظ لهم حرمتهم.. وأوصيه بالأنصار الذيـن تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وأن يعفـو عن مسيـئهم.. وأوصيه بـأهل الامصار خيـرا فإنهم رده الإسلام.. وجـباة الأمـوال.. وغيظ العـدو.. وان لا يوخذ منهـم الا فضلهم عن رضـاهم.. وأوصيـه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يأخذ من حواش« أموالهم فيرد على فقرائهم وأوصـيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بـعدهم.. وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفهم إلا طاقته..»

❁ ❁ ❁

وأوصي رضي الله عنه سيدنا سعد بن أبي وقاص فقال له:

«ياسـعـد.. لا يغـرنك من الله إن قـيل خـال رسول الـلـه صلى الله عليـه وسلم وصاحب رسول اله فإن الله عزوجـل لا يمحو السئ بالسئ ولكنه يمحو السيء بالحسن.. فإن الله ليس بينه وبين احـد نسب إلاطاعته. فـالناس شريفهم ووضيـعهم فى ذات الله سواء.. الله ربهم وهو عبـاده يتفاضلون بالعافية.. ويدركون مـاعنده بالطاعة.. فانظر الأمر الذى رأيت النبى صلي الله عليه وسلم عليه منذ بـعث إلى أن فارقنا. فالزمه فإنه

الأمر . . هذه غطتى إياك. إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين».

❁ ❁ ❁

وأوصي رضي الله عنه أباموسي الأشعري فقال له:

« امـا بعد فـإن للناس نفـرة من سلطانهم فأعـوذ بالله ان تدركنى. . وإياك . . فـأقم الحدود ولو سـاعة من النهـار. . وإذا حضر أمـران. أحدهمـا لله والاخر للدنيـا فآثر نصيبك من الله. . فإن الدنيا تنفد والآخـرة تبقى. . وأخف الفسـاق واجعلهم يدايدا ورجلا رجلا وعد مريض المسلمين واحضـر جنائزهم وافتح بابك وباشر امورهم بنفسك فإنما انت رجـل منهم غير أن الله جـعلك اثقلهم حـملا وقد بلغنى أنه نـشأ لك ولأهل بيتك هيئـة فى لباسك ومطعمك ومركـبك ليس للمسلمين مثلها. . فـإياك يا عبدالله ان تكون بمنزلة البـهيمـة مرت بواد خصب فلم يكن لهـاهم إلا التسـمن. وانما حتفـها فى السمن. واعلم ان العامل إذا زاغ راغ عبته واشقى لناس من شقيت به رعيته».

❁ ❁ ❁

من وصايا عثمان بن عفان رضي الله عنه:

* روى انه لما قتل عثمـان بن عفان رضى الله عنه. . فتشوا خزائنه. . فـوجدوا فيها صندوقا مقفلا. . ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوب فيها:

«هذه وصية عـثمان. . بسم الله الرحمن الرحـيم. عثمان بن عفـان يشهد أن لا إله الله وحـد لاشـريك له. . وأن مـحـمـدا عـبـده ورسولـه. . وأن الجنة حق وأن النار حق. . وأن الله يبعث من فى القبـور ليوم لاريب فيه أن الله لا يخلف الميعـاد. . عليها يحيى وعليها يموت وعليها يبعث ان شاء الله».

❁ ❁ ❁

من وصايا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه:

* كتب على بن أبى طالب رضى الله عنه عهدا لبعض اصحابه علي بلد فيه:

«اما بعد. . لا تطولن حجـابك على رعيتك. . فإن احتجاب الولاة عن الرعـية شعبة

من الضيق وقلة علم من الأمـور. . والاحتجاب يـقطع عنهم علم ما احتجـبوا دونه. . فيصـغر عندهم الكبير ويعظم الصغـير ويقبح الحسن. . ويحسن القـبيح. . ويشاب الحق بالبـاطل. . وانما الوالى بشر لا يعـرف ما توارى عـنه الناس به من الأمور وليـست علي القول سمات يعرف بها صروف الصدق من الكذب فيحصن من الإدخال فى حقوق بلين الحـجاب. . فـإنما أنت حد رجلين : امـا امرء سـخت نفـسك بالبذل فى الحق فـتقـيم احتجابك من حق تعطيه أو خلق كريم تسديه. . وإما مبتلى بالمنع. فما اسرع كف الناس عنك وعن مـسائلتك إذا يئسـوا عن ذلك مع أن أكثـر حاجـات الناس إليك لامؤنه فـيه عليك من مـشكاة مظلمة أوطلب انصـاف فانتـفع بما وصفت. . واقـتصـر علي خطك ورشدك إنشاء الله»

❁ ❁ ❁

من وصايا الآباء للأبناء

وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها:

* «أى بنيه: ان الوصـية لو تركت لعقل أو أدب. أو مكرمـة أوحسب. . تركت ذلك منك. . ولزويته عنك. . ولكن الوصية تذكرة للعاقل. . ومنبهة للغافل. .

* اى بنيه : انه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها لكنت أعنى الناس عن الزوج. . ولكن للرجال خلق النساء. . كمالهن خلق الرجال . .

* اى بنيه : إنـك قد فارقت الحـواء الذى منه خرجت. . والوكـر الذى منه درجت إلى وكر لم تعرفيه. . وقرين لم تألفيه. . فأصبح بملكه عليك ملكا. . فكونى له أمه يكن لك عبدا. .

- واحفظى عنى خلالا عشرا تكن لك دركا وذكرا:

* الأولى والثانية: المعاشرة له بالقناعة. . وحـسن السمع والطاعة. . فإن فى القناعة راحة القلب. . وحسن السمع والطاعة رأفة الرب. .

* الثالثة والرابع: فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك أنفه إلا اطيب ريح. .

الخامسة والسادسة: التعهد لوقت طعامه.. والهدوء عند منامه.. فإن حرارة الجوع ملهبة.. وتنغيص النوم مغضبه..

* السابعة والثامنة: المحافظة على ماله. والرعاية على حشمه وعياله.. لان ملاك الأمر في المال الحسن التقدير وفى العيال حسن لتدبير..

* التاسعة والعاشرة : لا تفشى له سرا.. لاتعصى له امرا.. فإنك إن افشيت سره لم تأمنى غدره وإن عصيت أمره أو غرت صدره..

والله يخير لك والسلام

* وصية والد لولده..

* يابنى : إن اباك فنى وهو حى.. وعاش حتى سئم العيش.. وإنى موصيك بما ن حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عنى:

لن جانبك لقومك يحبوك.. وتواضح لهم يرفعوك.. وأبسط لهم وجهك يطيعوك.. ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك.. واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم.. ويكبر على مودتك صغيرهم.. واسمح بمالك واحم حريمك.. واعزز جارك.. واعن من استعان بك.. واكرم ضيفك.. واسرع إلى النهضة فى الصريخ فإن لك أجلاً لا يعدوك.. وصن وجهك عن مسألة أحد.. فبذلك يتم سؤددك»

❁ ❁ ❁

* وصية حكيم لابنه

* قال أحمد الحكماء يوصى ابنه:

* يابنى : عليك بالعدل والانصاف.. فإنه يعمر الديار..ويحسن الذكر وإياك والجور فإنه يزيل النعم.. ويقلع الدول..

* يابنى : الأدب خير ميراث..وحسن الخلق خير قرين.

يابنى : إزالة الجبال الشامخة أهون من تأليف القلوب المختلفة

* يابنى : احذر مصاحبة الأحمق والجبان. . والدنئ والبخيل. . لأن الأحمق يريد أن ينفعك فيضرك. . والبخيل يأكل طعامك ولا يطعمك. والدنئ يتباهى بصحبتك فيلطخك بعاره.

والجبان يفر من أدنى ملمة. . فلا يراك ولا تراه»

❁ ❁ ❁

* وصية ملك لولده..

* أوصي بعض الملوك ابنه فقال له:

«ياولدى. . أوصيك بتقوى الله عزوجل فإنك اذا ا تقيته رضى عنك. وإذا رضى عنك ارضاك. . وآمرك ألاتعجل فيما لا تخاف فيه القوت. . فإن المعجلة فيه تورثك الندامة»

* وصية أبي جعفر الصادق لابنه:

* أوصي أبو جعفر الصادق ابنه موسي فقال:

* يابنى : انه من قنع بما قسم الله له استغنى. . ومن مد عينيه إلى ما فى يد غيره مات فقيرا. . ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه. . ومن استصغر ذلة نفسه استعظم ذلة غيره. .

يابنى : من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته. . ومن سل سيف البغى قتل به. . ومن حفر لأخيه بئرا سقط فيه. . ومن خالط السفهاء حقر. . ومن خالط العلماء وقر. . ومن أدخل نفسه فى مداخل السوء اتهم. . »

* وينقل لنا أبوجعفر الصادق وصية عن والده الامام « محمد الباقر» رضى الله عنهما:

قال. . قال لى أبى : لا تصحبن خمسة. ولا تتخذهم لك إخوانا.

قلت: من هم. . ؟

قال : الفاسق. فإنه يبيعك بأكلة فما دونها. .

قلت: وهل دون الأكلة شئ..؟

قال: نعم يطمع فيها ثم لاينالها..

ثم قال: والبخيل فإنه يخذلك بماله. وأنت احوج ما تكون إلى معونته والكذاب.. فإنه كالسراب.. يبعد منك القريب.. ويدنى البعيد.

والأحمق.. فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

وقاطع الرحم.. فإنه ملعون فى كتاب الله»

❀ ❀ ❀

* وصية حكيم لابنه

- أوصي بعض الحكماء ابنه فقال له:

يابنى..إياك والاغترار بالدنيا.. فإنها لم تف بمن وعدته قبلك فتفى لك وعليك بحسن الخلق لتكون محبوبا. وبالوفاء ليعضدك علي من يحسدك ويعينك على زمانك.. ولاتكن سئ الخلق. فتكون ممقوتا فيقل معينك ويكثر من يطلب إليك العثرة..»

❀ ❀ ❀

* وصية عبدالملك بن مروان لأولاده..

* أوصي عبدالملك بن مروان أولاده فقال لهم:

« كفوا الأذى..وابذلوا المعروف.. واعفوا إذا قدرتم ولا تبخلوا إذا سئلتم..ولا تلحفوا إذا سألتم..فإنه من ضيق ضيق عليه ومن اعطى اخلف الله عليه..»

❀ ❀ ❀

* وصية لعبد الله بن المبارك..

* أوصي عبدالله بن المبارك أحد أولاده فقال له:

«اترك فضول النظر توفق للخشوع.. واترك عيوب الناس توفق لمعرفة عيوبك.. واترك الخوض فى ذات الله تسلم من الشك والنفاق»

❀ ❀ ❀

* وصية لأحد العارفين بالله

* قال أحد العارفين بالله لابنه:

«اجتنب سبع خصال يسترح جسدك.. وقلبك ويسلم لك عرضك ودنيك:

* لا تحزن على ما فاتك..

* ولا تحمل هم مالم ينزل بك..

* ولا تلم الناس علي ما فيك مثله..

* ولا تطلب الجزاء على مالم تعمل

* ولا تنظر بشهوة إلى مالم تملك

* ولاتغضب علي من يضره غضبك

* ولاتمدحن من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك..»

❀ ❀ ❀

المبحث الرابع

** الأمثال في القرآن **

- المثل في معاجم اللغة..
- الأمثال فى القرآن..
- اطلاقات المثل في القرآن
- أنواع الأمثال فى القرآن
- فوائد الأمثال..
- ألوان من المثل فى القرآن

* المثل فى اللغة:

* يقول صاحب القاموس المحيط:

* المثل : الحجة والحديث. . يقال تمثل بالشئ. . أى ضربه مثلا. .

والمثال: المقدار والقصاص. . وصفة الشئ. . مجموعه امثلة ومثل

وماثل : قارب وأوشك. . يقال قرب العليل البرء. . أى تماثل للشفاء. .

المثلى: الأشبه بالحق والاعدل. . والأعلم بنفسه. .

الأمثـال : جمع مـثل. . يقال: أرضون مـتشابهـة. . أى ذات جبـال. . وهى قرب البصرة

❁ ❁ ❁

* ويقول صاحب اساس البلاغة:

* تمثل : تشبه

مثل : شبه

مثل : انتصب وقام

مثيل : بمعنى كريم

أمثل : أقرب. . وأحسن يقول المريض: أنا اليوم. امثل

امتثل : اقتص منه

المثال : القصاص

❁ ❁ ❁

* وجاء في كتاب « المنجد في اللغة ومفرداتها» :

أن المثال هو : الشبه والنظير. . لغة فى المثل وهو لا يغير. . بل ينظر إلى مورد المثل لأن أصل المثل العبرة والحجة. .

والمثل فى الأصل: ضرب من الضـروب الادبية وهو تأليف. لا أصل له ولاحقـيقة

يوضع على ألسنة البشر والحيوان والجماد.. ويقصد به العبرة والمغزى والهدف.

❁ ❁ ❁

ويقول صاحب القاموس القويم للقرآن الكريم:

مثل: من باب كرم.. مثالة فهو مثيل: كان فاضلا ذا مزية فى نوعه.

والأمثل: اسم تفضيل..وهى المثلى.. اى افضل وفضلى قال تعالى «إذ يقول امثلهم طريقة إن لبثتم الا يوما»

أى: أحسنهم وأقربهم إلى المعقول فى تقديرهم هم لا فى الواقع..

وقال تعالى « ويذهب بطريقتكم المثلى»

أى: الفضلى والحسنى

* والتمثال: الصورة على هيئة كائن هى:

قال تعالى « ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون»

* والمثلة: العقوبة الفاضحة التي يثمثل بها لشدتها وشهرتها وتتخذه عبرة وموعظة.. قال تعالى:

«وقد خلت من قبلهم المثلاث»

أى: مضت العقوبات الزاجرة في الأمم العاصية مما يعد عبرة لهم ولغيرهم.

* المثل: الصفة العجيبة يشبه بها غيرها..

* قال تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له»

* وضرب المثل: هو تشبيه حالة بحالة توضحها..

قال تعالى « كذلك يضرب الله للناس امثالهم»

* وتمثل به: تشبب به أو تكلف ان يكون مثله.

قال تعالى: فتتمثل لها بشرا سويا»

أى: ظهر الملك لمريم في صورة إنسان كامل.

❁ ❁ ❁

*** وجاء في كتاب المعجم الوجيز:**

* مثل : يقال. مثل الرجل بين يدى فلانا مثولا . . قام بين يديه منتصبا

* مثل : مثل الرجل مثولا . . قام منتصبا . . فهو مثيل

* ماثل : ماثل الشئ شابهه.

* امتثل : أمره وأطاعه وامتثل طريقته تبعها فلم يعدها.

* التمثيلية : عـمل فنى منثور أو منظوم يقوم على قواعد خاصة ليمثل حـادثا حقيقيا أو متخيلا تعبيرا عن غرض . .

* المثالى : وصف لكل ما هو كامل فى باب كالخلق المثالى. واللوحة المثالية . .

* المثال : صانع التماثيل

* المثل : جملة من القول مقتطفة من كلام. أو قائمة بذاتها تنقل ممن وردت فيه إلى ما يشابهه دون تغيير مثل « الرائد لايكذب أهله»

الممثل : هو من يقوم بالتمثيل على المسرح و فى السينما . . . »

❁ ❁ ❁

ويقول ابن المقفع:

« إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع . . وأوسع لشعوب الحديث»

* ويقول إبراهيم النظام :

« يجتمع فى المثل أربعة لا تجتمع لغيره من الكلام:

ايجـاز اللفظ . . واصابة المعنـى . . وحسن التـشبـيه . . وجـودة الكناية فـهو نهـاية البلاغة . . »

❁ ❁ ❁

ويقول البستانى فى كتابة الأمثال:

« للأ مثال والحكم مزية لا تضـاهى . . ورتبة لاتناهى . . إذ هى مطمح أعين الشعراء

والخطباء.. ومورد الفصحاء والبلغاء.. بل هى ارق من الشعر.. وارفع قدرا من الخطابة.. بدورها يتحلى جيد الكلام.. وبفوائدها يتجلى الالتباس والابهام

حتى قال بعض الأدباء:

إن الامثال حلى المعنى التي تخيرتها الحكماء من العرب والعجم والافرنج.. ودارت على كل لسان فى كل زمان»

* الامثال في القرآن

* عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسوله الله صلى اله عليه وسلم قال:

« إن القرآن نزل على خمسة أوجه:

حلال.. وحرام.. ومحكم.. ومتشابه.. وأمثال

- فاعملوا بالحلال..

واجتنبوا الحرام..

واتبعوا المحكم

وآمنوا بالمتشابه

واعتبروا بالأمثال »

* فالمثل يأتى فى القرآن: لتقريب المعنى.. وفهم المراد.. والعظة والموعظة والتدبر والاعتبار.. والحث والزجر.. والترهيب والترغيب..

والمثل فى القرآن يضرب بحسب المضروب له..

- فإن كان المثل أمرا عظيما.. ضرب بما يشبهه في العظمة..كالنور.. والشجرة الطيبة قال تعالى:

« الله نور السماوات والارض مثل نور كمشكاة فيها مصباح المصباح»

وقال تعالى:

« الم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء»

وأن كان المضــروب له المثل أمرا تافـها حـقيـرا كالأصنام. . ضـرب المثل بما يشبــهه كالبعوض. . والعنكبوت والذباب. .

* ويكون فى ضرب المثل اختبار للناس. . فـأما المؤمنون فيعلمون أنه الحق من ربهم فيزدادون ايمانا. . واما الكافرون فيكونون فى حيرة وتخبط فيقولون: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟

❁ ❁ ❁

*** * اطلاقات المثل فى القرآن:**

عنى القران الكريم بالأمثال وكررها فى كثير من آياته الشريفة . .

قال تعالى :

و«يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون» (١)

وقال تعالى:

وسكنتم فى مـساكن الذين ظلمـوا انفسهم وتبين لكن كـيف فعلنا بهم وضـربنا لكم الامثال» (٢)

وقال تعالى :

«وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتكفرون» (٣)

* ولقد ورد المثل فى القرآن بإطلاقات متعددة مختلفة منها:

١- يطلق المثل ويرادبه الصفة الموضحة للشئ. . كوصف الجنة وصفتها. .

قال تعالى:

« مثل الجنة التى وعـد المتقون فيـها انهار من ماء غـير آسن وأنهار من لبن لم يتـغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عـسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم »(٤)

---

(١) سورة براهيم : ٢٥٠ (٢) سورة إبراهيم : ٤٥

(٣) سورة الحشر: ٢١ (٤) سورة محمد : ١٥

٢- يطلق المثل ويراد به العبرة والعظة.

قال تعالى عن فوعون وقومه:

«فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين» (١)

٣ - يطلق المثل ويراد به الأمر الغريب العجيب..

قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام:

«ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدن وقالو آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون إن هو الا عبد انعمنا عليه وجعلنه مثلا لبنى اسرائيل» (٢)

٤- يطلق المثل ويرادبه تشبيه الغريب بالغريب بالأغرب..

قال تعالى

«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» (٣) لان خلق آدم التراب من خلق عيسى.. فإن كان عيسى خلق من غير أب.

فأدم خلق من غير أب ولا أم.. وذلك ليكون أوقع فى النفس واقطع للخصم وهورد الفرع إلى الأصل..

٥- يطلق المثل للترغيب فى البذل والعطاء والانفاق في سبيل الله من أجل عطاء باق لا ينفد.. ونعيم خالد لايغنى.. ورزق وفير لا يبلى..

قال تعالى:

« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» (٤)

وقال تعالى:

« ومثل الذين ينقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل حبة بربوة اصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير» (٥)

(١) سورة الزخرف: ٥٥ -٥٦
(١) سورة الزخرف: ٥٧ -٥٩
(٣) سورة آل عمران: ٥٩
(٤) سورة البقرة: ٢٦١
(٥) سورة البقرة: ٢٦٥

٦- يطلق المثل فى القرآن للترهيب.. لبيان عاقبة الظالمين والكافرين.. وضياع عمل الكافر لقبحه.. وأن الكافر مهما انفق من اموال فلن يقبل منها شىء. لكفرهم وضلالهم.. فتذهب أعمالهم هباء وسدى في الدنيا ولهم فى الاخر عذاب شديد.

قال تعالى:

« إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون. مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدينا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون» (١)

وقال تعالى :

«أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون» (٢)

وقال تعالى:

« مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شىء ء ذلك هو الضلال البعيد» (٣).

٧- ويطلق المثل فى القرآن لبيان سوء المنقلب للعالم الذى لم يعمل بعلمه وزين له الشيطان سوء عمله.. واتبع هواه.. فكان من الخاسرين.

قال تعالى:

«واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ تنافا نسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بأياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذيوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون» (٤)

٨- كما يطلق المثل في القرآن لبيان حال من يحمل العلم على كاهله.. ولا يعرف

(١) سورة آل عمران: ١١٧ (٢) سورة البقرة: ١٦ - ١٨

(٣) سورة ابراهيم: ١٨ (٤) سورة الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧

من العلم شئيا. . فهو كالحمار الذي يحمل الاسفار التى هى أوعية العلم ولا يعرف منها شئيا. بل ولا يستطيع ان يفرق بينها وبين غيرها من سائر الأحمال. .

قال تعالى

« مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بأيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين »(١)

٩- ويطلق المثل في القرآن لبيان حال الدنيا الفانية. . وعدم بقائها. . ويصور فناء العالم ودمار تلك الحياة التي يظن اصحابها أنها باقية خالدة.

قال تعالى

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به

نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا» (٢)

وقال تعالى:

«إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زحزفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون» (٣)

١٠- ويطلق المثل فى القرآن لبيان حقيقةالجزاء وأنه من جنس العمل. .

قال تعالى:

«وضرب الله مثلا قرية كانت آمنه مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم وه فأخذهم العذاب وهم ظالمون» (٤)

١١- كما يطلق المثل القرآن لمعرفة حقيقة الإيمان والفكر والتفريق بينهما وبيان النعيم الذى ينتظر المؤمنين. . والعذاب المهين الذى ينتظر الكافرين. . كما أنه لا توجد

(١) سورة الجمعة: ٥
(٢) سورة الكهف: ٤٥
(٣) سورة يونس: ٢٤
(٤) سورة النحل: ١١٢ - ١١٣

كرامة ولاشفاعة فى مسألة الكفر والإيمان..

قال تعالى :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخا نتاها فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين. وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين»(١)

* فهذا المثل ضرب ليعرض لنا حديثا عن نساء كافرات فى بيوت أنبياء..ونساء مؤمنات وسط كفار..

١٢- ويطلق المثال فى القرآن ويراد به بيان الصفة الإلهية..

قال تعالى :

« الله نور السمارات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونه لاشرقيةولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم» (٢)

❁ ❁ ❁

* أنواع الأمثال في القرآن:

ورد المثال في القرآن بأنواع ثلاثة:

١- امثال مصرحة:

وهى ماصرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه مثل قول الحق سبحانه فى المنافقين:

« مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى

---

(١) سورة التحريم: ١٠ -١١ (٢) سورة النور : ٣٥

ظلمات لايبـصرون صم بكم عمى فهـم لا يرجعون أو كصـيب من السماء فيـه ظلمات ورعـد وبرق يجـعلون أصابـعهم فى آذانهـم من الصواعـق حذر الموت والله مـحـيط بالكافرين» (١)

٢- أمثال مكمونه:

وهى التى لم يصرح فيهـا بلفظ التمثيل ولكنها تدل على مـعان رائعة فى إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها من مثل..

قال تعالى فى الصلاة:

« ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا»

٣- أمثال مرسلة:

ونقصـد بها الجمل الـتى أرسلت ارسالا من غيـر تصريح بلفظ التـشبيـه فهى آيات جارية مجرى الأمثال.. كقوله تعالى:

«ولايحيق المكر السئ إلا بأهله»

وقال تعالى:

« هل جزاء الاحسان إلا الإحسان»

* وقداخـتلف العلماء فـى هذا النوع الأخيـر من الآيات.. والذى يسمـونه« ارسال المثل» ما حكم استعماله استعمال المثل..؟؟

- رأى بعضم: أن الاستشهاد به يعد خروجا عن أدب القرآن..

* قال الرازى: فى تفسير قوله تعالى: لكم دينكم ولى دين»:

«جرت العـادة عند الناس أن يتمثلوا بهـذه الآية عند التاركه.. وذلك غيـر جائز لأن الله تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به بل يتدبر فيه ثم يعمل بموجبه»

- ويرى بعض العلماء : أنه لاحرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن فى مقام الجد كأن يأسف أسفا شديداً لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس

(١) سورة البقرة : ١٧ - ٢٠

فيقول : « ليس لها من دون الله كاشفه».

والإثم الكبير فى أن يقصد الرجل إلى البراعة فيتمثل بالقرآن حتى فى مقام الهزل والمزاح».

* وإذا كانت الأمثال قد أدرجت تحت ثلاث أنواع فإنه لها مضامين عديدة ومفاهيم كثيرة شاء المولى جلت حكمته ان يجعلها زينة لكتابه الكريم. . وآية من آياته التى لا تنتهى ولا تنفد. .

* والحكمة في ذلك:

تعليم البيان. . فالمثل أهون شئ على البيان. . ذلك أن الحكم والأمثال تصور المعانى تصور الأشخاص. . فإن الأشخاص والأعيان أثبتت فى الاذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس. . بخلاف المعانى المعقولة فإنها مجردة على الحسن. . ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما عند السامع. .

- ويؤيد ما ذهبنا إليه « الزمخشرى» فيقول:

«التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعانى. وادناء المتوهم من الشاهد. . فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله. . وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك. . فليس العظم والحقارة فى المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال الممثل له. . ألا ترى أن الحق لماكان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور. . وأن الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة. وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلا فى الوهن والضعف. .(!)

❁ ❁ ❁

* فوائد الأمثال..

* وللأمثال فوائد أخري منها:

* أنها تبرز المعقول فى صورة المحسوس الذى يلمسه الناس فيقبله العقل لان المعانى المعقولة لا تستقر فى الذهن إلا إذا صيغت فى صورة محسوسة قريبة الفهم كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء حتى لا يحصل من انفاقه على شئ من الثواب.

فقال تعالى:

« فمثله كمثل صفوات عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ

مما كسبوا . . »

* كما تكشف الأمثال وتعرض الغائب فى معرض الحاضر . .

مثل قوله تعالى :

«الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس»

* ويضرب المثل للترغيب فى الممثل حيث يكون الممثل به ما ترغب فيه النفوس كما ضرب الله مثلا لحال المنفق فى سبيل الله حيث يعود عليه الإنفاق بخير كثير

فقال سبحانه :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء» .

* ويضرب المثل للتنفير . . حيث يكون الممثل به مما تكرهة النفوس مثل قوله تعالى فى النهى عن الغيبة :

« ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخية ميتا فكر هتموه واتقوا الله» .

* وقد يستعار المثل السائر للحال . . أو الصفة . . أو القصة إذا كان فيها غرابة . .

- اما استعارة المثل للحال كقولة تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً»

- واستعارة المثل للوصف كقولة تعالى « مثلهم فى التواره ومثلهم فى الانجيل»

- واستعارة المثل للقصة كقولة تعالى « مثل الجنة التى وعد المتقون» (١)

❁ ❁ ❁

(١) مجلة منبر الإسلام - مقال الدكتور. أحمد جمال العمرى ص: ٩٧-٩٨ يناير ١٩٨٨١م

* ألوان من المثل في القرآن..

. وردت فى القرآن أمثال كثيرة منها . . :

* مثل النفاق:

قال تعالى :

« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا معتدين مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون» (١)

. بعد أن ذكر الله أحوال المؤمنين فى أول سورة البقرة. . وذكر أوصافهم وأنهم على هدى ونور وبرهان من ربهم وأولئك هم المفلحون. .

. ذكر الله الكافرين . . وكيف أن الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم لما استحوذ عليهم الشيطان بكفرهم . . وتوعدهم الله بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة. .

. ثم شرع الله فى الحديث عن الصنف الثالث . . وهم المنافقون . .

فذكر الله النفاق والمنافقين وأحوالهم وصفاتهم فى ثلاثة عشرة آية متعاقبة ومتتالية. . من أول قوله تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين» (٢)

إلى قوله تعالى « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير» (٣)

. والنفاق هو : اظهار الإيمان وأسرار الكفر ، أو اظهار الخير واسرار الشر. . والنفاق هو أعظم الذنوب وأشدها. . واقبح الأعمال وأرذلها . . والمنافق فى كل أحواله وأفعاله وأعماله . . يربح الناس وفى النهاية يخسر نفسه لأن كثيرا من الناس عندما تنتزع أقنعتهم يتضح أنهم بلا وجوه .

---

(١) سورة البقرة: ١٦ - ١٨

(٢) سورة البقرة: ٨

(٣) سورة البقرة: ٢٠

. فضرب الله المثل بهؤلاء المنافقين ليظهر لنا أمرهم . . ويكشف لنا زيفهم . . ويبين اضطرابهم وتخبطهم وحيرتهم . . فشبههم الله بمن أوقد نارا فلما أضاءت ماحوله فرأى الطريق ففرح فرحا عظيما لأنه اهتدى إلى ماكان يصبو إليه . . ولكن هيهات له ماتمنى «فسرعان ماتبدد سروره » وأصبح مكروباً مهموما . . فقد ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات الجهل والكفر . . والحيرة والاضطراب والحق والحسد . . والمعصية والتمزق النفسى . . وأبقى لهم مايضرهم من الإحراق والدخان : « وتركهم فى ظلمات لا يبصرون»

فهم هكذا : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون»

فلا يعودون إلى الإسلام والإيمان . . ولا يتوبون إلى الله سبحانه وتعالى . .

❀❀❀

* ثم ضرب الله مثلا آخر للنفاق والمنافقين فقال تعالى

« أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير» (١)

* الصيب هو المطر الذى ينزل بغزارة من السماء. . فيه رعد وبرد وصواعق والقرآن الكريم كعادته يعبر عن الكل ويريد الجزء. . وذلك لأن الأ نامل هى التى توضح فى الأذان. . لا الأصابع. . ولكن يقول:

« يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق»

خشية من الموت. . وخوفا منه لأنه يتربص بهم. . وهم تحت مشيئة الله وقدرته ولا مناص ولافرار من الله. . ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا. . لأنه الله يعلم خفايا نفوسهم :«والله محيط بالكافرين»

ولشدة هذا البرق الذى أضعف ابصارهم : «كلما اضاءلهم مشوا فيه»

---

(١) سورة البقرة: ١٩ -٢٠

وإذا أظلم عليهم وقفوا فى مكانهم جامدين لا يتحركون:

«ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير»

❁ ❁ ❁

* الله لا يستحى من الأمثال ..

قال تعالى :

«إن الله لايستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفرْوا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفا سقين» (١)

* ذات يوم والنبى صلى الله عليه وسلم جالس إذ أقبل عليه جماعة من المشركين واليهود وقالوا له:

يا محمد. . أما يستحى ربك أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت. .؟؟

فوبخهم الله تعالى. . وقال لهم إن الله لا يستحى ن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت وما هو اقل منها حقارة وخسة. . لأن الله حين يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فهو يشبه بها الاصنام والأوثان التى يعبدونها من دون الله. .وهى لا تسمع ولا تبصر. . ولا تنفع ولا تضر. . بل هى حجارة هم اقدم فى العمر منها. .

وهذه الأصنام أقل حقارة من الذباب والعنكبوت. .

* وهذا المثل يضربه الله لسببين:

- يضل به كثيراً من المنافقين المارقين. .

- ويهدى به كثيراً من المؤمنين لأنهم يعلمون أنه الحق من عند ربهم. .

وما يضل به الإ الفاسقين الخارجين عن الإيمان. . والذين امتلأت قلوبهم بالفسق والسوء. . والشرو الكفر. . والضلال والنفاق. .

❁❁❁

(١) سورة البقرة : ٢٦

* الانفاق في سبيل الله

قال تعالى:

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» (١)

* يضرب الله لنا هذا المثل ويعرفنا بقدر الإنفاق فى سبيل الله وقيمته العظيمة والبذل والعطاء فى سبيل الخير ابتغاء مرضات الله باخلاص وطيب نفس..

فإن الله يزيدها برا ونماء وبركة.. ويجزل لصاحبها العطاء يوم الخبراء..

ويشبه الله الصدقة بحبة أنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائةحبة والله يضاعف لمن يشاء ويبارك أكثر من ذلك بفضله ورحمته وكرمه:

«والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم»

❀❀❀

* المكذب بآيات الله..

قال تعالى:

«واتل عليم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون» (٢)

* وهذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى برجل آتاه الله العلم والحكمة والبيان ولكنه لم يعمل بما علم.. وزين له الشيطان سوء عمله.. بعد أن أفاء الله عليه بآياته ووهبه الله الفرصة لتكون سانحة له لهدايته وارتفاعه.. ولكنه ركن إلى الأرض ورضى بها واتبع هواه.. فمثله الله تمثيلا سيئا.. حيث مثله بالكلب إن طردته يلهث.. وإن تركته يلهث..

---

(١) سورة البقرة : ٢٦١ (٢) سورة الأعراف: ١٧٥ -١٧٧

وهذه صورة محسوسة مشاهدة لهذا الرجل الذى انسلخ من آيات الله وخرج منها. . فسلخ الله الإيمان من قبله فلا يعود إليه أبدا. .

* يقول صاحب الظلال - رحمة الله-:

« أنه مشهد من المشاهدات العجيبة الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات. .

إنسان يؤتيه الله آياته. . يخلع عليه من فضله. . ويكسوه من علمه. . ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع ولكن هاهو ذا ينسلخ من هذا كله.

انسلاخا. . ينسلخ كأنما الأيات أديم له ملتبس بلحمه. . فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة. . انسلاخ الحى من أديمة اللاصق بكيانه - أو ليست الكينونه البشرية ملتبسة بالإيمان بالله تلبس الجلد بالكيان. . ؟

* ها هو ذا ينسلخ من آيات الله. . ويتجرد من الغطاء الواقى. . والدرع الحامى. .

وينحرف عن الهدى ليتبغ الهوى . . ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم. . فيصبح غرضا للشيطان لا يقيه منه واق. . ولا يحميه منه حام. . فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه. . ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد إذا نحن بهذا المخلوق لا صقا بالأرض. . ملوثا بالطين. . ثم إذا هو مسخ فى هيئة الكلب يلهث إن طورد. . ويلهث إن لم يطارد

كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى. . والخيال شاخص يتبعها فى انفعال وانبهار وتأثر. . فإذا انتهى إلى المشهد الأخير منها. . مشهد اللهاث الذى لا ينقطع. . سمع التعليق المرهوب الموحى على المشهد كله:

« ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون».

ذلك مثلهم. . فلقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم. . ثم إذاهم ينسلخون منها انسلاخا. . ثم إذا هم أمساخ شائهو الكيان. ها بطون عن مكان الإنسان. . إلى مكان الحيوان. . مكان الكلب الذى

يتمرغ فى الطين.. وكان لهم من الإيمان جناح يرفعون به إلى عليين.. وكانوا من فطرتهم الأولى فى أحسن تقويم فإذا هم ينحطون منها إلى أسفل سافلين..

« ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون»

وهل أسوأمن هذا المثل مثلا..؟

وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى.. ؟

وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا..؟

من يعريها من الغطاء الواقى والدرع الحامى.. ويدعها غرضا للشيطان يلزمها ويركبها.. ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض.. الحائر.. القلق اللاهث لهاث الكلب أبدا..

وهل يبلغ قول قائل فى وصف هذا الحالة وتصويرها على هذا النحو العجيب الفريد إلا هذا القرآن العجيب الفريد..» أ.هـ

❀❀❀

* الحق..والباطل..

قال تعالى..

«أنزل من السماء ماء فسالت أويه بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأمامـا ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد» (١)

* هذا مثل ضربه اله سبحانه.. يشبه الحق فى ثباته وقوته بماء نزل من السماء فسالت أودية بقدر حاجة الإنسان فانتفع منه الإنسان..

وأما الباطل فهو يشبه الزبد الذى يضمحل ويذب سدى فلا ينتفع منه أحد..

---

(١) سورة الرعد : ١٧ -١٨

فالحق ثابت لا يتزحزح. . والباطل زائل وفان. . ولابقاء لوجوده. .

* يقول الحكيم الترمذى:

« ضرب الله مثلا ليبين الحق من الباطل فقال: أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فالحق مثل الماء الذى جرى فى الأودية. . فسالت أودية بقدرها: أى اختلط الحق بالباطل. . لأن النفس جاءت بأباطيلها ومناها وشهواتها التى هى إلى فناء فتمنتها فاغتر بها القلب والحق لا يفنى ولايبلى. .

فقوله : أنزل من السماء ماء: اى القرآن شبه القرآن بالماء. . لأن فيه منفعة الدين من الأحكام والشرائع. . كما أن فى المطر منفعة الدنيا. .

ثم شبه القلوب بالأودية . . لأنه وجد النور فى القلب منفذا ومجازا. . كما وجد الماء فى هذه الأودية منفذا ومجازا. .

ثم شبه القلوب بالسيل. . وسيل الباطل بالزبد الذى يعلوفوق الماء. . فكل قلب لم يتفكر ولم يعتبر ولم يرغب فى الحق خذله الله تعالى ووجد الظلمة والهوى فى قلبه منفذا ومجازا. . كما أن السيل وجد فى الأودية منفذا ومجازا. . فلما خذل هذا القلب احتمل الباطل كما احتمل السيل الزبد الرابى. .

وإذا وجد القلب التوفيق واعتبر احتمل الحق كما انتفع الناس من الماء الصافى ثم وصف الحق والباطل لصاحبهما فقال: فأما الزبد فيذهب جفاء يعنى: تذهب منفعته. . كذلك الباطل تذهب منفعته لصاحبة فى الدنيا والآخرة. .

أماما ينفع الناس فيمكث فى الأرض - وهو الماء الصافى - كذلك الحق: شبه الحق بالماء الصافى لنه تبقى منفعته لصاحبه فى الدنيا والآخرة كما يبقى الماء لمن أخذه» (١)

* «ولا شك أن من أروع الأمثلة التى وردت فى القرآن هذا المثل. . مثله مرة بالماء وأخرى بالنار. .

- فمثله مرة بالماء لما فيه من الحياة. .

- وبالنار لما به من النور والبيان. .

(١) الأمثال في القرآن د. محمود بن الشريف ص: ٦٧ ط دار المعارف

* ولقد ضرب الله المثل بالماء الذى نزل من السماء فـتسيل الأودية بقدرها . . كذلك ما ينزله الله من العلم والإيمـان فتأخذه القلوب. . كل قلب بقدره. . والسـيل يحتمل زبدا رابيا. . كذلك ما فى القلوب يحتمل شبهات وشهوات ثم قال سبحانه:

« ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله»

وهذا المثل بالنار التى توقد على الذهب والفـضة والرصاص والنحاس فـيختلط بزبد زبد أيضا كالزبد الذى يعلو السيل. . قال سبحانه:

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع لناس فيمكث فى الأرض»

كذلك العلم النافع يمكث فى القلوب بالتوحيد وعبادة الله الواحد. .

* قال قتادة:

هذه ثلاثة امثال ضربها الله فى مثل واحد. . يقول:

كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به. . ولا ترجى بركته. . كذلك يضمحل الباطل عن أهله» (١)

❁❁❁

* الكلمة الطيبة.. والكلمة الخبيثة..

* قال تعالى:

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثـة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» (٢)

* وهذا مثل يضـربه الله سبحانه وتعـالى. . ليشرح لنا من خلاله. . أن الخـير دائما

---

(١)مجلة منبر الاسلام. . مقال للدكتور حمد جمال الغمري يناير ١٩٨١م

(٢) سورة ابراهيم: ٢٥ - ٢٧

وأبدا هو الشئ العـظيم البـاقى الذى لا يـزول ولا يفنـى. . ولا ينضب له مـعـين ولا يبيدله ثمر. .

وأن الشر مـهما علا سلطانه وقـويت شوكتـه. . فلا مناص له من الزوال والفناء فى يوم من الأيام. .

وعرفنا ربنا العلى العظيم أن الكلمة الطيبة كالشـجرة الطيبة أصلها ثابت. . ومجدها تالد ولكنه سبـحانه لم يعرفنا بمكان ثبـاتها. . فهل هى ثابتـة فى الأرض. .؟ أم ثابته فى قلوبنا ونفوسنا. .؟ أم هى فى ارواحنا. .؟ أم فى السنتنا. .؟

الله اعلم بمكانها. .

وأن فرعها مرتفع وعال علوا شاهقا ساحقا حتى أن فرعها فى السماء. .

فما بالك بمنتهاها. . إذا كان الفرع فى السماء. .

كما أن الله لم يحدد لنا منتهاها. . وهذا دليل على رفعتها وعظمتها وعلوها

* اما الكلمة الخبيثة فإن الله عرفنا بمكانها فقال:

مكانها قريب ومنخفض. . وغير ثابتة. .لأنها لاقرار لها ولا أصل. .

ثم قال سبحانه:

«يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء»

والحمد لله أولا وأخيرا

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ-١٩٩٣م

مطابع ستار برس للطباعة والنشر
٤٠ ش المحولات الكهربائية - محطة المطبعة
الهرم ت : ٨٦٤١٥١

مكتبة مدبولي الصغير ٤٥-البطل أحمد عبد العزيز - المهندسين - القاهرة